

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة - محمد بوضياف بالمسيلة -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

التكافل الاجتماعي بالمغرب الأوسط ما بين القرن

(7 هـ و 9 هـ / 13 م و 15 م)

- دراسة اجتماعية -

إشراف الأستاذ :

* خلفات مفتاح

إعداد الطالبة :

* العمري فايضة

السنة الجامعية:

2019-2020م/1441هـ-1442هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ
فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ }

سورة الرعد ، الآية 17.

شكر و عرفان

لكل مقام مقال ولكل نجاح شكر وتقدير فجزيل الشكر والامتنان

إلى حبيبي خالقي جل وتعالى الذي كان ولا يزال السند والمعين وخير وكيل أستودع
عنده أموري فله الحمد وله المنة رب العرش الذي غمرني بلطفه وسهل لي ما
ظننته صعبا ثم أقدم شكري من أعماق قلبي وكلمات الثناء لا توفيه حقه إلى من
كان لي أبا وكان لي جسرا يعينني على التقدم والنجاح

أبي الذي غرس في نفسي الجد والاجتهاد

إلى رمز الحنان حفظها الله وأمد في عمرها على طاعته أمي الحبيبة

كما أتقدم بشكري إلى أستاذي المحترم

والذي تعلمت من أخلاقه الفاضلة الكثير

أعانك الله على عبادته ورزقك جنة الخلد تنعم فيها أبدا

كما نشكر كل من ساعدنا من قريب أو بعيد

ولو بكلمة أو دعوة صالحة



إهداء

دي هذا العمل المتواضع إلى :

الوالدين الكريمين حفظهما الله

إلى كل أفراد أسرتي

إلى روح جدي وجدتي رحمهما الله

إلى كل الأصدقاء ومن كان برفقتي ومصاحبتي أثناء دراستي في الجامعة

إلى كل من لم يدخر جهدا في مساعدتي

إلى كل من ساهم في تلقيني ولو بحرف واحد في حياتي الدراسية

إلى أساتذتي الأفاضل ... ومؤسستي ... إلى وطني الجزائر

إلى كل من كان التميز هدفا له ...

إليهم جميعا أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع سائلا المولى

عز وجل أن يجعله خالصا متقبلا

الباحثة

فايزة

الفصل التمهيدي

التكافل الاجتماعي...

الدلالة اللغوية والدليل الشرعي

1- مفهوم التكافل الاجتماعي

أ- لغة

ب- إصطلاحاً

2- التكافل الاجتماعي من خلال الخطاب القرآني

والسنة النبوية المشرفة

أ- القرآن الكريم

ب- السنة النبوية

مفهوم التكافل الاجتماعي:

لغة:

مفهوم مصطلح التكافل ضمن كتاب لسان العرب لابن منظور: (ت 711 هـ / 1311 م)

لقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) ، ومعناه في بعض التفاسير يؤتكم ضعفين ، وقيل مثلين ، وفيه (مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا) ، ومعنى الكفلين في بعض التفاسير الحاضين .

والكافل هو العائل، كفه يكفه وكفه إياه، وكفل المال وبالمال أي ضمنه.

وكفل بالرجل يَكْفُلُ ويكفل كَفْلاً وكُفُولاً وكفاله وكَفَّلَ وكَفَّلَ وتكفَّلَ به، له: ضمنه.

وأكفله إياه وكفه : ضمنه ، وكفلت عنه بالمال لعزيمة و تكفل ، وفي الحديث : (أنا

وكافل اليتيم كهاتين في الجنة له ولغيره) : والكافل هو (القائم بأمر اليتيم سواء كان الكافل من ذوي رحمته وأنسابه أو كان أجنبيا لغيره تكفل به).⁽¹⁾

مفهومه في كتاب القاموس المحيط للفيروز آبادي: (ت 817 هـ/1414 م)

كفل الكفل ، محركة: العَجُزُ ، أو رَدْفُهُ ، أو القَطْنُ ، جمع أكفال.

والكفل بالكسر : الضعف ، والنصيب والحظ، وذو الكفل نبي، والكافل : العائل ، وقد

تكفله وكفه ، والذي يأكل أو يصل الصيام أو الذي جعل على نفسه أن لا يتكلم في صيامه،

وقد كفل بالرجل كضرب ونصر وكرم وعلم، كفلا وكفولا وكفالة وتكفل وأكفله : ضمنه ،

والمكافل : المجاور المحالف ، والمعاهد المعاهد ، واكتفل بكذا : ولاه كفه.⁽²⁾

(1) - ابن منظور (ت 711 هـ / 1311 م) ، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، ط1، ج43، 44، دار المعارف ، القاهرة ، ص 2906 ، 2907.

(2) - الفيروز آبادي (ت 817 هـ/1414م)، القاموس المحيط ، تحقيق ومراجعة أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، تعليق أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي ، ط1، ج 1، دار الحديث ، القاهرة ، 2008م، ص 1426.

مفهومه في كتاب تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي: (ت 1205 هـ/1790

(م)

الكفل ، محرّكة : العَجْرُ ، أو رِدْفُهُ ، أو القطن يكون الإنسان والدابة ، وإنها لعجزاء الكفل ، والكفل : المثل ، يقال : ما لفلان كفلٌ أي مثل ، والمكافل : المجاور و المحالف، ويات كافلا : إذ لم يصب غداء ، ولا عشاء ، واكفل به ارتدّفه،وجعلني كافله أي القائم به.(1)

- إصطلاحا :

الكفالة بمعنى ضم ذمة الكفيل إلى ذمة الأصيل في المطالبة.(2)

وفي تعريف آخر، معنى التكافل أوسع من أن يكون مقتصرًا على تحقيق جوانب من البر والاحسان والصدقة للفقراء والمحتاجين والعاجزين، فالتكافل يشمل أيضا تكوين وبناء شخصية الفرد وسلوكه الاجتماعي، ويشمل ارتباط الأسرة وتنظيمها وتكافلها وربط الناس ببعضها البعض وربط الدولة بالفرد والجماعة، ومفهومه يشمل تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والخلقية... وأن الغاية من التكافل هو إصلاح أحوال الناس ليعيشوا في الحياة آمنين مطمئنين على عقائدهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم... والتكافل يحقق للناس أسباب العيش الهانئ والأفضل.(3)

وفي تعريف آخر يقصد بالتكافل في معناه اللفظي أن يكفل الفرد الجماعة وأن يكفل القادر أو الذي لديه سلطان مجتمعه بالخير وأن يتعاون المجتمع في المحافظة على مصالح الفرد، والتكافل الاجتماعي يحمل معنى التراحم بين الجماعة التي عليها أن تهيب فرص

(1)-الزبيدي (ت 1205 هـ / 1790 م)، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ج9، التراث العربي، الكويت ، 1971م، ص 331 ، 332 - 335.

(2)-الجرجاني (ت 816 هـ - 1413 م) ، معجم التعريفات ، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي ، ط1 ، دار الفضيلة ، القاهرة، ص 1357.

(3)-عبد الله ناصح علوان، التكافل الاجتماعي في الاسلام، ط7 ، دار السلام، مصر، القاهرة، 2008م، ص 16،17.

العمل لكل من يريد، و أن تمكن للفرد ذلك بقدر استطاعته الجسمية والعقلية، وإذا عجز على أداء ذلك العمل فعلى الجماعة أن تهيء له أسباب الحياة في ظل التأمين الاجتماعي.⁽¹⁾ والتكافل الاجتماعي ضمن تعريف آخر هو أن يتضامن أفراد المجتمع من أجل المحافظة على المصالح العامة والخاصة، ودفع المفاصد والأضرار المادية والمعنوية، بحيث يشعر كل فرد أن عليه واجبات اتجاه الآخرين تساوي حقوقه لديهم.⁽²⁾

التكافل الاجتماعي من خلال الخطاب القرآني والسنة النبوية المشرفة :

1- الخطاب القرآني :

إن الدين الاسلامي هو دين التكافل الاجتماعي في وجهه الأكمل⁽³⁾، والمتأمل في الغاية التي جاءت بها التشريعات الاسلامية من إنفاق في سبيل الله وغير ذلك يجد أن كلها تصب في مجال التكافل والتعاون بين البشر، فالإسلام بشموليته غطى على جميع متطلبات النفس البشرية في كل حاجاتها، وأمر بكل ما يصلحها ونهى عن ما يفسدها ، ساعد فقيرها وكفل يتيمها وبعث في الأمم رسولاً كان رحمة للعالمين⁽⁴⁾، فالقرآن الكريم الذي نزل على سيد الخلق والمرسلين بين من خلال آياته التوجهات التي على الإنسان أن يسير بها في حياته في إطار الإنسانية العامة والمعرفة الاجتماعية التي تقود الإنسان إلى التعاون والتكافل.⁽⁵⁾

حث القرآن الكريم ودعا في معظم نصوص آياته إلى هذا الخلق العظيم ألا وهو

التكافل فقد جاء في سورة آل عمران عن مريم عليها السلام قوله تعالى : (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ

(1)-محمد أبو زهرة ، تنظيم الاسلام للمجتمع ، ط 1 ، دار الفكر الغربي، القاهرة، 1991م ، ص 7.

(2)-المرسي السيد حجازي، " دور الوقف في تحقيق التكافل الاجتماعي في البيئة الاسلامية" ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، العدد2 ، مصر، الاسكندرية، 2006م ، ص 58.

(3)-محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 60.

(4)-الرحمان خالد سيف الله (مجمع الفقه الإسلامي-الهند) ، دور الوقف في التنمية ، ط 1 ، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت ، 2007م ، ص 26 ، 27 ، 28.

(5)-عبد الشافي غنيم عبد القادر"بعض مقومات الحضارة الانسانية وتضم الحكم الاسلامي في عهد الرسول (ص)"، مجلة المؤرخ العربي ، تصدرها الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العراق، العدد 16 ، 1981 م، ص 43 ، 44 .

يُقُونُ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ) (1) ، (قال قتادة : كانت مريم ابنة إمامهم وسيدهم فتشاح عليها بنوا إسرائيل فاقترعوا عليها بسهامهم أيها يكفلها - ففزع زكريا - وكان زوج أختها ، فضمها إليه) (2) وقوله تعالى : (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) (3) ، أي ضمنها إياه حتى تكفل بحضانتها وضمن القيام بأمرها ، والكافل هو الذي كفل إنسانا يعوله وينفق عليه. (4)

وعن موسى عليه السلام في صورة من صور التكافل عند الأنبياء عليهم السلام قوله تعالى : (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ أَبِي سَلَمَةَ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) (5) ، (5) ، قال القرطبي (6) : (فاستغاثه الذي من شيعته) أي : طلب نصره وعونه .

فإغاثة ونصرة المظلوم فرض في جميع الشرائع (7) ، وفي آية أخرى موقف يحمل معنى معنى التكافل قوله تعالى : (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْفُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ

(1) -سورة آل عمران ، آية 44.

(2) -ابن القيم الجوزية (ت 751 هـ - 1350 م) ، التفسير القيم، جمعه محمد الندوي، حققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، لبنان ، 1948 م، ص 213.

(3) -سورة آل عمران، الآية 37.

(4) -ابن منظور، المصدر السابق، ص 290.

(5) -سورة القصص، الآية 14.

(6) -هو محمد بن أحمد بن بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي كان من عباد الله الصالحين جمع في تفسير القرآن كتابا كبيرا فيه خمسة عشر مجلدا سماه (جامع أحكام القرآن) وهو من أجل التفسير وأعظمها نفعا ، توفي ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة إحدى وسبعين وستمائة.أنظر : الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الداوودي (ت 945 هـ) ، طبقات المفسرين ، ط 1 ، ج 2 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، 1913 ، ص 69،70.

(7) -أبي عبد الله القرطبي (ت 671 هـ - 1273 م) ، الجامع الأحكام القرآن والمبين لما تضمنه حسن النية و أي الفرقان ، تحقيق عبد الله المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، لبنان - بيروت، 2006 م ، ص 246.

قال الماوردي⁽¹⁾ : (في التقوى رضا الله تعالى وفي البر رضا الناس ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وامت نعمته)⁽²⁾، وفي الحديث ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً).⁽³⁾

وقال تعالى : (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)⁽⁴⁾، وفي هذه الآية تأكيد واضح على ضرورة الإحسان إلى الوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وغير ذلك، وفيها أمر بالإنفاق في سبيل الله وتحذير من الشح و البخل وتبين في مضمونها بأن طاعة الله ليست مقصورة على العبادة فحسب وهذا ما يؤكد بأن الاسلام دين جاء ليحقق التكافل العام بين أفراد الأمة والمجتمع ليعيش الجميع تحت رايته في أمن وتعاون وعيش كريم ،⁽⁵⁾ وهذه الآية عظيمة وهي من أمهات الأحكام.⁽⁶⁾

(1)- هو الإمام العلامة أفضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي صاحب التصانيف حدث عن أبو بكر الخطيب ووثقه و قال مات في ربيع الأول سنة خمسين وأربع مئة وقد بلغ ست وثمانين سنة ولى القضاء ببلدان شتى ثم سكن بغداد . أنظر : الحافظ الذهبي (ت 748 هـ - 1347 م) ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، ط9، ج 18 ، مؤسسة الرسالة، 1413 م ، ص 64.

(2)-أبي حسن الماوردي (ت 450 هـ - 1058 م)، أدب الدنيا و الدين ، ترجمة أحمد ابراهيم ، تعليق وشرح محمد كريم رابح، دار إقرأ ، بيروت، 1985م ، ص 196.

(3)-أخرجه مسلم (ت 261هـ - 875م) ، صحيح مسلم، ج1 ، دار الطباعة العامرة ، الأستانة ، 1329 م ، رقم 2674.

(4)-سورة البقرة ، الآية 176.

(5)-عبد الله ناصح علوان ، المرجع السابق ، ص 12.

(6)-القرطبي ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 59.

قال الله تعالى في كتابه الكريم : (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) .⁽¹⁾

وقوله تعالى : (ما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) أي : (مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل)⁽²⁾ ، وكما ثبت في الحديث أن ملكين يصيحان كل يوم ، يقول أحدهما : (اللهم أعط ممسكا تلفا) ، ويقول الآخر : (اللهم أعط متفقا خلفا)⁽³⁾ ، فالمال الذي هو ملك الله تعالى قد أودعه عز وجل في يد البشر (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)⁽⁴⁾ وألزم الله هؤلاء البشر بأن يتصرفوا في هذه الوديعة على الشكل الذي الذي يرضيه في الكسب والانفاق (وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ)⁽⁵⁾ .

ولا شك أن المال هو من أهم الأسباب التي تخلق السعادة وهو العامل الذي يحقق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع⁽⁶⁾ ، (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ)⁽⁷⁾ ، فكل مفرد يندم عند الاحتضار و يسأل طول المدة ولو شيئا يسير يستعجب ويدرك ما فاتته⁽⁸⁾ .

وقال تعالى : (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)⁽⁹⁾ ، والانفاق يشمل خراج الزكاة وسائر حقوق العباد من واجب ومن مستحب وأحب عباد الله أنفعهم لخلقهم⁽¹⁰⁾ ، والزكاة

(1) -سورة سبأ ، الآية 39 ، وفي تفسير ابن كثير للآية أي يعطى المال لمن يحب ومن لا يحب فيفقر من يشاء ويغني من يشاء وله الحكمة التامة البالغة. أنظر : ابن كثير ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 622.

(2) -المصدر نفسه ، ص 523.

(3) -أخرجه البخاري (ت 256 هـ - 870 م) ، صحيح البخاري ، ط1 ، دار ابن كثير ، بيروت - دمشق ، 2002 ، رقم 1442 ، ص 350.

(4) -سورة الجاثية، الآية 27.

(5) -سورة الطلاق، الآية 7.

(6) -عبد الله ناصح علوان ، المرجع السابق ، ص 32 ، 33 ، 34.

(7) -سورة المنافقون ، الآية 10.

(8) -ابن كثير ، المصدر السابق ، ج8، ص 133.

(9) -سورة الأنفال ، الآية 3.

(10) -ابن كثير ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 12.

تمنع النفس من أن تتعلق بحب المال وتنسى واهبه وتبني بدورها مجتمعا متحابا يشعر فيه الفقير بأن أخاه الغني يتألم لألمه (1)، كما قدس الاسلام العمل (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (2) فالعمل هو عنصر الكسب الفعال والاسلام حث على ممارسته والسعي في طلب الرزق بالحلال أمر مطلوب ، وقد جعل الاسلام ومن خلال الاية السابقة بعد فريضة الصلاة لينبه الناس بانه بمنزلة العبادة التي يوجب بها العبد كما كره الاسلام الانسان الذي يمد يده للناس وهو قادر على العمل وهو بذلك ذليل ومهدور الكرامة ولا قيمة له فالعمل يعتبر أولى ضمانات التكافل الاجتماعي فواجب المسلم إعالة نفسه وأهله (3)، و عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أي الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : أدومها و إن قل) (4).

كما أن الدين الاسلامي هو دين العدالة فكان إهتمامه بالغ بتحقيقها على وجه الأرض وهذا يتضح من خلال النص القرآني في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (5).

وقد طالب المجتمع الاسلامي حكاما و محكومين ليطبقوها في جميع الأوقات وعلى شتى الأجناس حتى وإن كانوا أعداء وبالتالي فإن التضامن الانساني ينطبق مفهومه مع العدالة الاجتماعية والتي هي بحسب الرؤية القرآنية رعاية (6). إن المتعمق في المعنى

(1) -راغب السرجاني، رحماء بينهم قصة التكافل والإغاثة في الحضارة الاسلامية، إشراف داليا محمد إبراهيم، ط1، نهضة مصر ، الحيزة ، 2010 ، ص 148.

(2) - سورة الجمعة ، الآية 10.

(3) -عبد الله ناصح علوان ، المرجع السابق ، ص 39-41.

(4) -أخرجه البخاري في كتابه الرقاق، باب القصد والمداومة عن العمل، صحيح البخاري، رقم 6465.

(5) -سورة المائدة، الآية 9.

(6) -عاقلي فضيلة ، " التكافل الاجتماعي وأبرز صورته"، أعمال المؤتمر الدولي العاشر حول التضامن الانساني، جامعة باتنة، الجزائر، 18 - 20 ديسمبر 2015 ، ص 2.

الحقيقي للعبادة يجد أنها تشمل كل عمل صالح وخير يقوم به الإنسان يفيد به نفسه والفرد والمجتمع يمثل من خلاله لأوامر الله عز وجل إبتغاء لمرضاته تعالى.(1)

2- السنة النبوية المشرفة :

كان الرسول صل الله عليه وسلم يعي أن الحضارة الانسانية لا تكون إلا بمجتمع متضامن ومتكافل متأثر فيما بينه(2)، فكان سيد الخلق صل الله عليه وسلم نموذجاً حياً للتكافل المتأصل فيه منذ نشأته وقد هذب صحابته على ذلك فرغبهم في تفريج الكرب ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وسار صحابته رضوان الله عليهم على نهج صل الله عليه وسلم فحرصوا على تحقيق التكافل بين أفراد المجتمع كافة(3)، (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). (4)

دعا النبي صل الله عليه وسلم إلى التكافل وكان يحب من يقوم به فعن أبي موسى(5) قال : قال النبي صل الله عليه وسلم : (إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالتسوية، فهم مني وأنا منهم)(6).

(1)- عبد الله ناصح علوان، المرجع السابق، ص 36.

(2)- عبد الشافي غنيم عبد القادر ، المرجع السابق، ص 144.

(3)- السرجاني راغب، المرجع السابق ، ص 129-171.

(4)- أخرجه مسلم في كتابه البر والصلة و الآداب ، باب تراحم المؤمنين وتوادهم ، صحيح مسلم، رقم 2586.

(5)- هو عبد الله بن قيس بن سيلم بن حضار بن عامر بن عنتر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر ولي البصرة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وولي الكوفة في عهد عثمان رضي الله عنه توفي سنة اثنين وأربعين وقيل سنة أربع وأربعين وقبل سنة خمسين وقبل سنة اثنين وخمسين. أنظر: ابن الأثير (ت 630 هـ - 1239م) ، أسد الغابة ، ط 1 ، دار ابن حزم ، لبنان ، بيروت، 2012 ، ص 729 ، 730.

(6)- أخرجه البخاري في كتابه الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض، صحيح البخاري، رقم 2486.

ويروى عبد الله بن عمر⁽¹⁾ رضي الله عنهما أن الرسول صل الله عليه وسلم قال : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)⁽²⁾ .

وعن أنس بن مالك⁽³⁾ رضي الله عنهما قال : (كان رسول الله صل الله عليه وسلم أحسن الناس وكان أجود الناس، ولقد فرغ أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس ، قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صل الله عليه وسلم راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة عربي في عنقه السيف وهو يقول " لم تراعوا لم تراعوا"⁽⁴⁾، وهذا من شدة شدة إغاثته صل الله عليه وسلم للناس وخوفه عليهم وحفظه لهم ثم إنه يعلم الناس بخلقه العظيم،⁽⁵⁾ (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)⁽⁶⁾ ، فالنبي رحمة لكل أحد وكل العالمين حصل لهم النفع برسالته⁽⁷⁾ .

(1) - هو عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي الفتوي أسلم مع أبيه وهو صغير شهد الخندق وغزوة مؤتة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم وشهد اليرموك وفتح مصر و إفريقية وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله صل الله عليه وسلم ، توفي سنة ثلاث وسبعين . أنظر : ابن الأثير ، المصدر السابق، ص 716 - 718 .

(2) -أخرجه البخاري في كتابه، المظالم ، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، صحيح البخاري، رقم 2442 .

(3) -هو أنس بن مالك بن النضر بن مظم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي النجار، واسمه تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة الأنصاري الخزرجي من بني عدي بن النجار ، خادم رسول الله وهو من المكثرين في الرواية عن رسول الله ، واختلف في وقت وفاته فقيل توفي سنة إحدى وتسعين وقيل سنة اثنين وتسعين وقيل سنة ثلاث وتسعين وقيل سنة تسعين . أنظر : ابن الأثير (ت 630 هـ) ، المصدر السابق، ص 73 ، 74 .

(4) -أخرجه مسلم في كتابه الفضائل ، باب شجاعة النبي وتقدمه في الحرب، صحيح مسلم، رقم 2307 .

(5) -السرجاني راغب ، المرجع السابق، ص 32 .

(6) -سورة الأنبياء ، الآية 107 .

(7) -صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث وقال البخاري أنه روي عنه أكثر من ثمانمائة رجل من بين صاحب وتابع، وقال الواقدي : توفي سنة تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين وقال غيره : مات بالعقيق وصلى عليه الوليد بن عقبة بن أبي سفيان وكان يومئذ أميرا على المدينة . أنظر : ابن عبد البر ، المصدر السابق ، ص 797 ، 798 .

ويروي أبا هريرة عن النبي صل الله عليه وسلم أنه سمعه يقول : (إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل الرجل يزعهن و يغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ يحجزكم عن النار و أنتم تقتحمون فيها).⁽¹⁾

لقد عاش المجتمع الاسلامي الأول حياة مليئة بصور التكافل والتعاون وظهر ذلك جاليا حينما حل المهاجرون ضيوفا عند أنصار المدينة إذ كان الأنصاري يتنازل على بضع ماله لأخيه المهاجر ، فوصل التكافل بذلك إلى الحد الكبير⁽²⁾.

قال النبي صل الله عليه وسلم: (خير الناس أنفعهم للناس).⁽³⁾

أجمع المسلمين في كل زمان ومكان على التعاون والتكافل والتساند لأجل حماية الضعيف و إغاثة الملهوف⁽⁴⁾، فكان النبي صل الله عليه وسلم يجلس أهل الصفة ويتفقد أحوالهم وكان يزورهم ويرشدهم ويواسيهم فضمن لهم صلى الله عليه وسلم كل ما يحتاجونه من مأوى ومأكل وملبس ومشرب فكان يهتم بكل أمر يكفل لهم حياة هنيئة مليئة بالحب والطمأنينة وهو أعلم الناس بحالتهم.⁽⁵⁾

و كما كان المجتمع الاسلامي أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه مجتمعا فاضلا ومتماسكا⁽⁶⁾، فقد نظم حياة رعيته وقدم العون لكل فرد منهم فكان يكفلهم من بيت مال المسلمين وكان يرى نفسه مسؤولا عن كل ما يصيب الانسان أو الحيوان داخل الدولة

(1) -أثر به البخاري في كتابه الرقاق ، باب الانتهاء عن المعاصي ، صحيح البخاري ، رقم 6483.

(2) -عاقلي فضيلة ، المرجع السابق، ص 7.

(3) -الألباني ، صحيح الجامع مع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، ط3 ، ج 1 ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، دمشق ، 1988 م ، ص 623.

(4) -عبد الله ناصح علوان، المرجع السابق، ص 13.

(5) -راغب السرجاني ، المرجع السابق ، ص 157 ، 158 ، 160.

(6) -أبي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي (ت 97 هـ - 1201 م) ، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، تحقيق حلمي حلمي بن محمد بن إسماعيل ، دار ابن خلدون، الاسكندرية، 1996م ، ص 231.

الاسلامية⁽¹⁾، حتى أنه قال : (و الذي بعث محمداً بالحق لو أن جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب)⁽²⁾ ، وقد وضع رضي الله عنه لكل مولود يولد عطاء له ولأبيه وكلما كبر ذلك الولد كبر عطائه معه، وهذا كان أيضاً في عهد عثمان وعلي والخلفاء ، فكان عمر بن عبد العزيز يخصص للأعمى قائداً وللعاجز خادماً وكلاً تجري نفقته من بيت المال⁽³⁾، وعن ابن عمر قال: (أصاب عمر رضوان الله عليه أرضاً بخيبر فأتى النبي صل الله عليه وسلم فأنتمره فيها قال: أصبت أرضاً بخيبر لم أصب ما لا قط أنفس عندي منه فما تأمر به قال : إن شئت حبست أصلها وتصدق بها قال فتصدق بها عمر أن لا تباع ولا تورث صدقة للفقراء والمساكين في سبيل الله تعالى وابن السبيل و الضعيف).⁽⁴⁾

يقول الله تعالى : (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)⁽⁵⁾، والنبي صل الله عليه وسلم بدوره أوضح لنا النهج الذي يستديم من المعروف والخير وأفضل وجوه الانفاق ألا وهو الوقف، الصدقة الجارية دائمة النفع والأجر والتي تحافظ على تماسك المجتمع وتكافله⁽⁶⁾، والوقف يضمن لصاحبه الثواب إلى يوم البعث، (ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة)⁽⁷⁾، وقد كان الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنهما طبيب المعاملة مع أهله والناس أجمعين فقد اشترى بئراً سمي بئر أرومة وجعله للمسلمين

(1) -السرجماني راغب، المرجع السابق، ص 176-178.

(2) -أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ - 941 م) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، مصر ، القاهرة، 1119م ، ص 202 ، 203.

(3) -عبد الله ناصح علوان ، المرجع السابق ، ص 114 ، 115.

(4) -ابن الجوزي ، المصدر السابق، ص 200.

(5) -سورة البقرة، الآية 261.

(6) -الرحمان خالد سيف الله، المرجع السابق ، ص 29.

(7) -أخرجه مسلم في صحيحه، رقم 1552.

كافة⁽¹⁾، والوقف يقوي صلة المسلم بأخيه المسلم وهو مبدأ من مبادئ الاهتمام بالمسلم ورعايته وسد حاجاته وهو من أفضل أوجه الانفاق فنفعه عام و مستمر.⁽²⁾

(1) -محمود شاكر، الخلفاء الراشدون ، ط8، ج3، المكتب الاسلامي ، بيروت ، عمان ، دمشق، 2000 ، ص 234-242.

(2) -الرحمان خالد سيف الله ، المرجع ، ص 19.

المفصل الأول

صور التكافل الاجتماعي بالمغرب

الأوسط ما بين القرن

(7هـ . و 9هـ / 13م و 15م)

1- الأسر الحاكمة والأسر الأرستوقراطية

أ- الأسرة الحاكمة - ب- الأسر الأرستوقراطية

-التجار اليهود انموذجا

2- إسهامات النخب العلمية في نظام التكافل الاجتماعي

أ- الفقهاء - ب- المتصوفة

- جهود المتصوفة في عملية التكافل الاجتماعي زمن

المجاعات والمحن.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ- و 9هـ / 13م-15م)

1- الأسرة الحاكمة والأسر الارستقراطية:

أ- الاسرة الحاكمة :

قال الله تعالى في كتابه الكريم (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ)⁽¹⁾، بسط المولى تعالى لخلقه الرزق والقوة بدرجات متفاوتة ليظهر في عباده من كانت غايته في الدنيا الثواب ومن كانت غايته العقاب⁽²⁾، وبناءا على ما تقدم فإننا نقول أن الانسان مهما بلغ درجة الجاه والسلطان لا بد أن يشعر بحق الناس عليه وهذا الإحساس يبعث فيه نور الحياء ومنه يفهم أن لا أحد له الفضل على الآخر إلا بعمل الخير فلا يطغى غني على فقير ولا قادر على عاجز ولا ذو جاه على من سواه⁽³⁾، كما ورد في مقدمة ابن خلدون أن أحكام الله في خلقه هي مراعاة المصالح وفعل الخير والانسان الحاكم أقرب بقوته إلى فعل الخير وهو الذي يتواضع للمسكين وينظر المستضعفين⁽⁴⁾، والحاكم إذا أعان ضعاف رعيته وقدم لهم يد العون والمساعدة فهم بهذا أدى ما وجب عليه و كان له ثواب من اله تعالى⁽⁵⁾ ، فحسن الملك يكمل في خدمة الرعية والرفق بهم.⁽⁶⁾

ومن القرائن التاريخية التي تثبت هذا الطرح وهي كثيرة أن حظي أهل العالم في بلاد المغرب الأوسط بالاهتمام من قبل سلاطين بنو زيان الذين عملوا على رعاية شؤونهم

(1)- سورة الأنعام ، الآية 167.

(2)- القرطبي ، المصدر السابق، ج9، ص 147.

(3)- محمد أبو زهرة، التكافل الاجتماعي في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة ، 1991، ص 17.

(4)- ابن خلدون (ت 808 هـ/1405 م) ، المقدمة ، تحقيق عبد السلام شداوي، ط1، ج1، خزنة ابن خلدون، الدار البيضاء، 2005، ص 233، 234.

(5)- محمد أبو زهرة، المرجع السابق ، ص 65.

(6)- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 323.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط مابين القرن (7هـ-

و 9هـ / 13م-15م)

وتشجيع نشاطهم الفكري والتكفل بنفقة الطلاب وتحمل مصاريف دراستهم فعطفوا عليهم بالعطايا والأموال⁽¹⁾ وكانوا يحبون مجالستهم والتقرب منهم أينما حلوا فكان السلطان يغمراسن بن زيان⁽²⁾ (681 هـ/1282م) يبحث عن أهل العلم أينما كانوا ليتودد إليهم إذ يذكر صاحب نظم الدر أن السلطان يغمراسن طلب من الشيخ إبراهيم بن يخلف التنسي⁽³⁾ (703هـ/1303م) أن يستقر ببلده فكان يحبه⁽⁴⁾، وأقطع له الاقطاعات⁽⁵⁾ ويذكر يحيى ابن خلدون في ذلك أن أعمال بره لا متناهية ولا محدودة فكان يؤثر العلماء وكان كريما حلما متواضعا.⁽⁶⁾

كما كان أبي يحيى ابن أبي زكريا⁽⁷⁾ (696 هـ/1249 م) أشد الملوك حياء وأكثرهم رافة بالناس وكان يقابل من يسيء إليه بالحسنى وإذا وقع بصره على مسجون سرحه وكان

(1) - عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية) ، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2002م، ص 326.

(2) - هو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد مؤسس دولة بني عبد الواد حكم من سنة 633هـ/1236م إلى سنة 681هـ/1283م ، أنظر : يحيى ابن خلدون (ت 780 هـ/1379 م) ، بقية الرواد ، تحقيق بوزياني الدراجي ، ج2 ، دار الأمل ، الجزائر ، 2007م، ص 40.

(3) - كان مدرس ومفتي ببلاد المغرب كافة ، حيث كانت تصله أسئلة من تلمسان وبلاد إفريقيا كلها وطلب منه السلطان يغمراسن الدخول إلى تلمسان والاستقرار بها لكنه كان يجيء إليها زائرا ثم يعود إلى تنس ثم يستقر فيها، وكان يجمع بين علم الظاهر والباطن وله كرامات كثيرة كانت له كرامات كثيرة له رحلة إلى مصر والشام وتونس والتقى فيها بأهل العلم وجالسهم توفي بتلمسان. أنظر : التنبكتي (ت 963 هـ/1036 م) ، نيل الابتهاج ، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، ط1، ج2 ، كلية الدعوة الاسلامية ، طرابلس ، 1989م، ص 38،39.

(4) - عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق، ص 212.

(5) - يحيى ابن خلدون ، المصدر السابق، ج2، ص 110.

(6) - التنسي (ت 899هـ/1494م) ، تاريخ بنو زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر، تحقيق محمود اغا بوعياذ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2011، ص 126.

(7) - هو الأمير أبو زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي مؤسس الدولة الحفصية بتونس. أنظر : التنسي، المصدر السابق، ص 116.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ-

و 9هـ / 13م-15م)

يتولى قضاء حوائج مرضعته وهو من الملوك الذين حظوا بمحبة عامة الناس والخاصة⁽¹⁾، كما وصف ابن مرزوق السلطان أبو سعيد⁽²⁾ (731 هـ-1331م) بأنه أرحم خلق الله على الرعية وانه إذا سمع بكاء الباكي بكى وإذا سمع الموعظة خشع وكانت والدته ترعى اليتامى وتكفل زواجهم وتتصدق على المحتاجين وتصلهم⁽³⁾، الجرايات على الأرامل والمساكين والمحتاجين والضعاف وخريجي السجون وكان يستمع إلى إنشغالات الناس⁽⁴⁾ والمولد النبوي الشريف كان المناسبة التي تؤدي فيها ديون المسجونين والأموات والزاوية كانت تبقى في هذه الليلة مفتوحة لكافة الناس⁽⁵⁾ ، وفي أيام عاشوراء يجمع السلطان أبي الحسن المريني اليتامى اليتامى لختانهم ويتصدق عليهم فيعطي لكل واحد عشرة دراهم ومن اللباس واللحم ما يكفيهم وهذه سنة جارية اتبعتها أولاده الخلفاء بعده وكان يعطف على كبار السن أجرى لهم الجرايات من رواتب تكفيهم وبنى لهم دورا وأغناهم عن السؤال⁽⁶⁾.

(1) - ابن قنفذ (ت 810هـ/1407م) ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم محمد الشاذلي وعبد المجيد التركي ، الدار التونسية ، 1968 ، ص 162.

(2) - حكم دولة بني مرين سنة من 710هـ / 1310 م إلى سنة 731 هـ / 1330 م . أنظر : يحيى ابن خلدون ، المصدر السابق، ج 2 ، ص 42.

(3) - ابن مرزوق التلمساني (ت 781 هـ / 1376 م) ، المسند الصحيح ، تقديم محمود بوعباد ، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية ، الجزائر ، 1981 ، ص 122 ، 123.

(4) - بختة خليلي " دور بعض السلاطين والفقهاء والوجهاء الزيانيين في مواجهة ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط"، الأكاديمية لدراسات الاجتماعية والانسانية، قسم العلوم الاجتماعية ، العدد 15 ، 2016 ، ص 28.

(5) - نبيل شريخي ، دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الاسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع (14م/15م) ، رسالة ماجستير ، تحت إشراف خالد كبير علال، المدرسة العليا للأساتذة ، قسم التاريخ والجغرافيا ، الجزائر ، 2009-2010 م ، ص 32.

(6) - تلمسان في العهد الزياني (633 - 962 هـ / 1235 - 1555 م) ، رسالة ماجستير ، تحت إشراف هشام أبو رميلة ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، نابلس ، كلية الدراسات العليا قسم التاريخ، 2002 م، ص 420-427.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ -

و 9هـ / 13م - 15م)

كما كان سلاطين المغرب الأوسط يحتفلون أيضا بتدشين المنشآت التي يقومون بتأسيسها من مساجد وغير ذلك فيطعمون الناس و يهتمون بهم وحسبان ذلك ما قام به السلطان أبو عنان المريني عندما افتتح جامع الخطبة الأعظم والاحتفال الذي قام به السلطان أبو حمو موسى الثاني عندما بنى مدرسة بتلمسان.⁽¹⁾

وشهر رمضان أيضا كان مناسبة يحتفل فيها التلمسانيون فيوزعون الطعام ويكثرون الصدقات وزيارة الأقارب والجيران والأصدقاء ويزينون المساجد والزوايا بالشموع والبخور⁽²⁾ ، ويحتفلون أيضا بميلاد أطفالهم وختانهم فيحضرون الولائم ويطعمون الفقراء والأقارب⁽³⁾ ويذكر في مسنده أن أبي الحسن المريني⁽⁴⁾ (ت 749 هـ / 1348 م) عندما دخل تلمسان عامل الناس بالشفقة والرحمة فتكفل بالضعاف وكذلك العلماء والصلحاء وكتب لكل واحد على إنفراد أجر معلوم وهذه المعاملة على أهل وهران وسائر البلاد الأخرى⁽⁵⁾ فعندما دخل بجاية بجاية قابل سكانها بالعفو إذ خفف عليهم المغارم والضرائب التي كانت مفروضة عليهم⁽⁶⁾ ، كمحاولة منه لاستقطاب الرعية ، وكان يقدم لهم الطعام الذي بدوره يكفي جميع الحاضرين

(1) - بسام كام عبد الرزاق شقران، المرجع السابق، ص 165.

(2) - عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 270.

(3) - بسام كامل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 166.

(4) - هو أبو الحسن علي بن أبي سعيد بن يعقوب وهو سلطان مريني تولى الحكم من سنة 732 هـ / 1331م إلى سنة

749هـ/1348 م، توفي بجبل هنتاتة ودفن بالرباط سنة 752 هـ . أنظر : محمد شارف ، المسند الصحيح ، مجلة

الفضاء المغازي ، العدد 1 ، جامعة معسكر ، ص 15.

(5) - ابن مرزوق ، المصدر السابق، ص 202 ، 203 - 437.

(6) - سمية مزور ، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط 588 هـ - 927 هـ / 1192 - 1520 م ، مذكرة ماجستير ،

تحت إشراف محمد الأمين بلغيث ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، قسم التاريخ والآثار ، قسنطينة ، 2008 ، 2009 ،

ص 75.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ -

و 9هـ / 13م -15م)

في مجلسه فإذا استوفى حوائجهم دخل بيته⁽¹⁾ ، وسار ابنه أبو عنان المريني⁽²⁾ (759 هـ / 1358 م) على نفس نهج أبيه فكان كل ليلة يخرج الزرع الذي في المخزن ويعيل الناس بما يحتاجونه ويتولى قيام ذلك بنفسه وكان يتفقد أحوال رعيته وينظر لمصالحهم ويعطف عليهم إذ خفف من عبئ المظلومين و المسجونين وتصدق باللباس على سائر المحتاجين.

كما أقام سلاطين المغرب الأوسط الاحتفالات الكثيرة في المناسبات المختلفة وكانت هذه الأخيرة وسيلة يتكفلون من خلالها بمساعدة الناس، فكان أبي الحسن المريني (7490 هـ / 1348 م) يستعد دائما للاحتفال بالمولد النبوي الشريف وهي مناسبة مباركة التي قدم فيها مختلف أنواع المطاعم والحلويات وأنواع الطيب والبخور ويدعو الناس إلى الولائم وكان ما يفضل في مجلسه من الأكل يقتسمه على الفقراء ، وفي اليوم السابع يقوم بتقديم العطايا للشرفاء والكبار ويحسن إليهم⁽³⁾ ، وكان السلطان أبو حمو موسى الثاني (ت 791هـ/1389م) يحتفل هو كذلك بالمولد النبوي فيطعم الناس ويشكر الله على ذلك⁽⁴⁾ و يمد يد العون للفئات المختلفة من المجتمع فيوزع ، وكان السلطان أبي الحسن أبر الناس بأهل العلم وأجرى لهم الجرايات الكثيرة⁽⁵⁾ ، ومن الفقهاء من قلت حيلته وزاد فقره فكسب شفقة السلاطين مثلما جرى للفقهاء أحمد بن زكري⁽⁶⁾ (ت 899 هـ / 1494 م) الذي كان

(1) - ابن الحاج النميري (ت 768 هـ/1367 م) ، فيض العباب ، دراسة ابن شقذون ، ط1 ، دار القرب الاسلامي ، لبنان ، بيروت ، 1990 ، ص 126.

(2) - هو فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق يكنى أبا عنان حكم دولة مرين من سنة 749 هـ / 1348 م إلى سنة 759 هـ / 1358 م . أنظر : يحيى بن خلدون ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 54.

(3) - ابن مرزوق ، المصدر السابق، ص 153-178-191.

(4) - عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص 226.

(5) - ابن مرزوق ، المصدر السابق، ص 260.

(6) - الفقيه الأصولي البياني المنطقي عندما مات أبوه تركه صبيا في أحضان أمه التي رعت شؤونه أدخلته يتعلم صنعة الحياكة وتعلم النسيج ثم إنتقل بالعلم والتدريس فانتفع منه الناس كافة وله تأليف منها مسائل القضاء والفتيا وشرح عقيدة ابن

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ -

و 9هـ / 13م -15م)

من شدة فقره لا يملك حتى بيتا يأويه فكتب له السلطان الزياني بيتا مفروشا وفيه سمن وزيت ولحم وفحم.⁽¹⁾

كان الكثير من الناس من يشتكي حالته إلى السلاطين أيام المجاعات الموضوع سوف أفصل فيه نوعا ما في الصفحات اللاحقة من البحث وهي الظاهرة الطبيعية التي عانى منها مجتمع المغرب الأوسط مثله مثل باقي المجتمعات الأخرى ، من الحكام من لم يقصر في إعانة رعيته فيقومون بإطعام الناس اللحم أيام الجوائح وكانوا لا يتقاعسون عن ولائهم⁽²⁾ ويذكر صاحب البغية إن مجاعة شديدة أصابت الناس عام 776 هـ / 1374 م أكلوا فيها بعضهم البعض سببها إعصار أهلك الزرع والحيوان فافتقر الناس وقام السلطان أبو حمو موسى الثاني بتصدق بنصف جبايته للضعاف كل ليلة عدلا بينهم وقام بضمن الناس إلى البيمارستانات، وتكفل بإيصال الأرزاق إليهم بكرة وعشية وخفض لهم من أسعار الزرع الذي زاد التجار فيه و أباح بيعه للناس⁽³⁾ رفقا وتضامنا معهم، كما انتهج بعض الحكام بناء المارستانات كطريقة لمساعدة الفقراء والمساكين يتحسبون من خلالها وقوع الوباء والمجاعات إذ يكون الناس فيها آمنين ولا يتعرضون للمصائب وتوفرت فيها شروط الصحة من نظافة وغذاء⁽⁴⁾، واعتمد السلاطين كذلك على وسيلة أخرى يضمنون بها مواجهة الأزمات الغذائية وهو أسلوب الادخار والتخزين فيتم تجفيف الفواكه والخضروات وتقدير اللحوم والشحوم والأسماك وكانوا يقومون بتبريدها للحفاظ عليها باستعمال الثلج أو البيوت

الحاجب سماه بغية الطالب والمنظومة الكبرى في علم الكلام توفي سنة 900 هـ وقيل أنه توفي سنة تسع وتسعين وثمانمائة . أنظر ابن مريم ، البستان ، مراجعة محمد ابن ابي نسيب ، المدرسة الثعالبية ، الجزائر ، ، 1908ص 38 - 41 .

(1) - المصدر نفسه، ص 38-41.

(2) - بختة خليلي، المرجع السابق ، ص 27.

(3) - يحيى ابن خلدون ، المصدر السابق، ج 2 ، ص 576.

(4) - سمية مزدور ، المرجع السابق، ص 156.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ-

و 9هـ / 13م-15م)

الباردة أو وضعها في الآبار⁽¹⁾ ، والتخزين جعل السكان في تلمسان يتجاوزون أضرار الحصار فعندما تعرضت المنطقة لحصار أبو الحسن المريني مرة أخرى كان عندهم ما يكفيهم من مخزون الطعام⁽²⁾، وكان يتم أيضا إدخال القمح والزيت والشعير والسمن والعسل⁽³⁾، وكان السلاطين يحصنون المدن ويعيدون تعميرها بعد المجاعات⁽⁴⁾ ، وساهمت هذه المجاعات في انتشار سلوك التناغم والترابط بين السلطة الرعية فعندما اشتد القحط على السكان وارتفعت الأسعار فتحت الدولة مخازنها و باعت الحبوب بأثمان زهيدة⁽⁵⁾ ، ففي أيام مجاعة 776 هـ/1374 م أمر السلطان أبو تاشفين بفتح أهراء الزرع، وإباحة بيعه للناس بعد الخفض من سعره، وكان السلطان أبو حمو موسى الثاني أيام الحصار المريني على تلمسان يحفر الخنادق ويخزين الطعام والفحم والحطب الذي يتم إخراجها وقت الحاجة⁽⁶⁾ ، كما خزن السلطان يغمراسن الغذاء في المطامير لوقت الحاجة وكان يشتريها من المزارعين كما حرص السلطان أبو زيان الأول على تخزين الزرع ويحرص أن يكون المخزن ممتلئا تجنباً للوقوع في الجوع⁽⁷⁾.

ومن خلال عرضنا لبعض صور التكافل الاجتماعي عند حكام بلاد المغرب الأوسط لاشك في أنهم ساهموا بشكل واضح في تحسين مستوى معيشة الشعب والتقليل من شدة

(1)- سمية المزكلي ، المجاعات والأوبئة بالمغرب الوسط (534 - 776هـ/ 1139 - 1375 م) ، أطروحة دكتوراه، تحت إشراف هشام العلوي القاسمي، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بغاس، 2003-2004 م ، ص 211-215.

(2)- سمية مزدور ، المرجع السابق، ص 145.

(3)- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ، ص 254.لا

(4)- سمية مزدور ، المرجع السابق، ص 145.

(5)- نبيل شريخي ، المصدر السابق، ص 130-135.

(6)- سمية مزدور ، المرجع السابق، ص 145.

(7)- بختة خليلي، المرجع السابق، ص 24 ، 25.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ- و 9هـ / 13م-15م)

الفقر وعبئ الحياة سواء في الأيام العادية أو في زمن المجاعات وأثناء المنعطفات المناخية وكانت تلك الأعمال والمبادرات والجهود وسيلة لاستقطاب الرعاية وغاية من السلطان لتثبيت دعائم حكمه.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط مابين القرن (7هـ- و 9هـ / 13م-15م)

ب- الاسر الارستقراطية :

-التجار اليهود انموذجا :

اهتم سكان بلاد المغرب الأوسط بالتجارة فعملوا بها وتنوع التجار في المنطقة بين يهود ومسيحيين ومسلمين وامتلكت الكثير من الأسر القاطنة بتلمسان الثروة الواسعة على المستوى التجاري أبرزها أسرة المقرري والعقباني وغيرها⁽¹⁾ وكانت تلمسان في العهد الزياني مقر تجاري هام وتشكلت بسوقها مختلف السلع والبضائع القادمة من بلاد المغرب والمشرق وجنوب الصحراء ومنطقة ما وراء البحر المتوسط⁽²⁾ وتوفرت بها الكثير من الأسواق والمرافق الحيوية الضرورية فكانت بذلك مجالا هاما لتبادل السلع والمنافع وسوقها كانت منظمة تنظيما دقيقا⁽³⁾، وقد عملت الأسر التجارية وسكان المنطقة بالتجارة فكانوا يوفرون السلع على مدار السنة فكانوا يحرصون على تزويد المدينة بكل ما تحتاجه من مؤونة خاصة في وقت الأزمات والمحن فكانوا يوفرون السلع بحجة أن تجاب المدينة الظروف الصعبة وتصمد على المستوى المعيشي نفس الأمر كان مع التجار اليهود وهم الفئة الأقوى في هذا المجال فقد عملوا بالذهب والفضة والصيرفة والقروض والأسلحة والتوابل والعبيد وكان هؤلاء يشاركون في محاولات تهريب البضائع إلى تلمسان أثناء أي حصار تتعرض له وهم بذلك يساهمون في دعم وتقوية المجتمع التلمساني⁽⁴⁾ ، كما أن للتجار دور في مجال التكافل فقد

(1)- بسام كامل عبد الرزاق شقدان ، المرجع السابق ، ص 193.

(2)- عبد العزيز فيلاي ، المرجع السابق، ص 134.

(3)- عمر بالبشير ، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6 إلى القرن 9 هـ / 12-15 م من خلال كتاب المعيار للونشريسي، أطروحة دكتوراه ، تحت إشراف غازي مهدي ، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية ، وهران ، 2009-2010 ، ص 229.

(4)- بسام كامل عبد الرزاق شقدان ، المرجع السابق ، ص 194.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط مابين القرن (7هـ -

و 9هـ / 13م -15م)

ذكر الونشريسي في نازله له أن أحد كبار التجار من أهل مليانة أوصى بأن يصرف ثلث أملاكه بعد وفاته لصالح مساكين بلدته فكان ذلك عام 733هـ.⁽¹⁾

استقر اليهود⁽²⁾ في بلاد المغرب منذ عهد قديمة⁽³⁾، إذ تواجدوا بالشمال الإفريقي منذ العهد الفينيقي قادمين له من بلاد الشام⁽⁴⁾، فلما فتح المسلمون بلاد المغرب وجدوا فيه جاليات يهودية استقرت بمختلف مناطقه⁽⁵⁾، وقبائل بربرية قد تهودت هذا ما تحدث عنه ابن خلدون في قوله (أن البربر من ولد حام بن نوح ... اختلف الناس فيمن أنوح البربر من الشام ... أنهم فروا بعد موت جالوت إلى المغرب ... وكان منهم من تهود وتنصر...)⁽⁶⁾، واحتمال ديانة البربر لليهودية باعتبار أن اليهود يتقنون فن التجارة الذي حاز إعجاب البربر الذين رحبوا بهم واعتنقوا دينهم وتأثروا بهم⁽⁷⁾، وكانت من القبائل البربرية التي تهودت قبيلة قبيلة جراوة الأوراسية وقبيلة مديونية⁽⁸⁾. كما أن هجرة اليهود زادت نحو بلاد المغرب

(1) - خالد بلعربي ، " أهمية كتاب المعيار المغرب للونشريسي في كتابه التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الأوسط"،

مجلة القرطاس، العدد الخامس، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس ، جوان 2017، ص 14.

(2) -استعمل مصطلح يهود ويهودية لأول مرة من طرف البابليين مشيرين بذلك إلى من جيء بهم من يهودا وهو الاسم الكنعاني لمنطقة أورشليم ولفظ الديانة اليهودية ، لم يظهر إلا بعد القرن الرابع قبل الميلاد فقد تكونت الديانة اليهودية في بابل 537-586 ق.م ثم تطورت في فترة الحكم الفارسي وظهرت الديانة اليهودية النهائي كمصطلح في الفترة اليونانية والرومانية . أنظر : جودت السعيد ، أو هام التاريخ اليهودي ، ط1، الأهلية ، الأردن - عمان ، 1998 ، ص 147

(3) - عبد العزيز فيلاللي ، المرجع السابق، ص 193.

(4) - فاطمة بوعمامة ، اليهود في المغرب الاسلامي خلال القرنين (7 و 8 هـ / 14 و 15 م) ، مؤسسة النور الحكمة ، الجزائر ، 2011 ، ص 14.

(5) - فوزي سعد الله ، يهود الجزائر هؤلاء المجهولين ، ط2 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2004 ، ص 101 - 102.

(6) - عبد الرحمان ابن خلدون (ت 808 هـ) ، العبر ، مراجعة سهيل زكار ، ط1 ، دار الفكر ، لبنان - بيروت ، 2000 ج6 ، ص 123.

(7) - محمد قومي ، دور الطائفة اليهودية بتوات خلال القرنين 9 هـ و 10 هـ / 15 و 16 م ، رسالة ماجستير ، تحت

إشراف غازي الشمري ، جامعة وهران ، كلية العلوم الاجتماعية ، 2013 / 2014 م ، ص 45-102.

(8) - عبد العزيز فيلاللي ، المرجع السابق، ص 193.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ -

و 9هـ / 13م - 15م)

الأوسط بعد الفتح الإسلامي للمنطقة وكانوا يأتون من إسبانيا نتيجة التذمر والاضطهاد الذي تعرضوا له⁽¹⁾، وكانت أغلب أماكن استقرارهم المراكز التجارية الكبيرة⁽²⁾ مثل: تلمسان⁽³⁾، بجاية⁽⁴⁾، وهران⁽⁵⁾، المسيلة⁽⁶⁾، وغيرهم، كما نجد بعض الأسر اليهودية في المغرب الأوسط قد حافظت على أصلها الإسباني وهم من المهاجرين منذ القرن الثامن هجري مثل عائلة ستورة، سيرورة، بنهايم، دوران، الوليد، العياش⁽⁷⁾.

(1) - فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 29.

(2) - عبد الرحمان بشير، اليهود في المغرب العربي (22-462 هـ / 642 - 1070 م)، إشراف قاسم عبده قاسم، ط 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2001 م، ص 43.

(3) - يحد تلمسان واد زا و نهر ملوية غربا، والواد الكبير الحمام وصحراء نوميديا جنوبا وكانت هذه خاضعة في القديم لسيطرة الرومان ثم آلت إلى ملوكها الأقدميين وهم بنو عبد الواد المنتمون إلى مغراوة، تمتد مملكة تلمسان إلى مسافة ثلاثمائة وثمانين ميلا من الشرق إلى الغرب لكنها تضيق جدا من الشمال إلى الجنوب إذ لا تتعدى المسافة خمسة و عشرين ميلا في بعض النقط من البحر المتوسط إلى تحوم صحراء نوميديا. أنظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد جحي ومحمد الأخضر، ط 2، دار القرب الإسلامي، لبنان - بيروت، 1988، ج 2، ص 8.

(4) - مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط بين إفريقية والمغرب كان أول من اختطها الناصر بن عباس بن حماد بن زيري زيري بن مناد بن بلكين سنة 458 هـ، بينها وبين جزيرة بني مزغناي أربعة أيام وهي مدينة غنية لا يخصها شيء وتركب منها السفن وتساfer في جميع الجهات وبينها وبين ميلة ثلاثة أيام. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج 1، ص 339.

(5) - وهران مدينة كبيرة بناها الأفرقة الأقدمون على شاطئ البحر المتوسط بعيدة بنحو مئة وأربعون ميلا من تلمسان، بها بها مساجد ومدارس وملاجئ و حمامات وفنادق محاطة بأسوار عالية جميلة، يقع جزء من المدينة في السهل والجزء الآخر في جبل شديد الارتفاع وكان معظم سكانها من الصناع والحاكة، أهلها ظرفاء كرماء يحبون الغرباء. أنظر: الحسن الوزان، مصدر سابق، ص 30.

(6) - مدينة مستحدثة استحدثها علي بن الأندلسي في ولاية إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهي مدينة عامرة ولها مزارع ممتدة ولأهلها توائم الخيل وأغنام وأبقار وجنات وعيون وفواكه ويسكنها من البربر بنو بوزال ونداح وهوارة وصدارته ومزاته، والطريق من مدينة تلمسان إلى المسيلة أربع مراحل ومن المسيلة إلى طينة مرحلتان ومن المسيلة إلى مقرة مرحلة. أنظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ج 1، ص 254 - 262.

(7) - فاطمة بوعمامة، مرجع سابق، ص 58.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط مابين القرن (7هـ -

و 9هـ / 13م -15م)

لقد كان موقف الاسلام من أهل الذمة واضح ومعروف بالرجوع لقوله تعالى : (قَاتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّمَنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)⁽¹⁾ ، وارتبط بذلك أهل الذمة داخل الدولة الاسلامية⁽²⁾ بعقد⁽³⁾ يضمن لهم حفظ أرواحهم وأملاكهم وحررياتهم العامة وأن يبقوا في الأرض الاسلامية آمنين مطمئني وعلى كفرهم بشرط أن يدفعوا الجزية⁽⁴⁾ ، المفروضة عليهم والتي تزول إذا دخل الذمي في الإسلام⁽⁵⁾ ، ولم يكن هناك تمييز بين المواطن المسلم واليهودي ، وفرص التقدم والنجاح في شتى المجالات مفتوحة أمام اليهودي وهي عادلة ومقتزنة بمقدار العمل والاخلاص الذي يقدمه.⁽⁶⁾

نعم اليهود في ظل الدولة الاسلامية بالأمن والسلام والعدل والتسامح وإذا استثنينا عقد الذمة الذي يدعوهم لدفع الجزية فإنهم يعتبرون مثل أي فرد مسلم له ماله وعليه ما عليه، إذ تمتعوا بحياة نشطة وحررة في الميدان الاقتصادي والتجاري والاجتماعي وكذا السياسي⁽⁷⁾ ، والجزية التي فرضت على أهل الكتاب هي نفسها الزكاة التي فرضها الاسلام على المسلم

(1) - الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص 188.

(2) - سورة التوبة ، الآية 29.

(3) - محمد قومي ، المرجع السابق ، ص 47.

(4) - الذمة نقصد بها العهد والكفالة ، وفلان له ذمة أي له حق ، وعقد الذمة أن يقر الحاكم بعض أهل الكتاب على كفراهم كفراهم بشرط دفعهم للجزية وكذلك إحترام دولة الاسلام القاطنين بها. أنظر : ابن منظور ، مصدر سابق، ج 12 ، ص 221 وأيضا : السيد سابق، فقه السنة ، ج 3 ، الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ص 48.

(5) - الجزية مشتقة من الجزاء وهي مبلغ من المال يوضع على من دخل في ذمة المسلمين وعهدهم من أهل الكتاب وهي تسقط بحدوث الاسلام . أنظر : السيد سابق ، مرجع سابق ، ص 49 و أيضا : الماوردي، الأحكام السلطانية ، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، ط1، مكتبة دار ابن قتيبة ، الكويت، 1989 ، ص 181.

(6) - فوزي سعد الله، المرجع السابقة، ص 46 ، 47.

(7) - محمد قومي ، المرجع السابق ، ص 50.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ-

و 9هـ / 13م-15م)

وهذا من أجل أن يساوي الفريقان و هذا كله من سماحة الاسلام وتكافله⁽¹⁾ ، عاشت الجماعات اليهودية بين الأفراد المسلمة وامتزجوا فيهم ومن مظاهر ذلك أن اليهود كانوا يوزعون الرغائف في عيد لهم يسمونه عيد الفطر كانوا يوزعونها على المسلمين⁽²⁾ ، كما كانت لهم أحياء وقصور خاصة بهم فكان يوجد بتلمسان باب يسمى باب اليهود⁽³⁾، وهي أولاد ميمون بتمنيط.⁽⁴⁾

ولكن هذا الأمر لم يمنعهم من الاختلاط بالمسلمين بعيدا عن حاراتهم وأماكن سكنهم⁽⁵⁾، بل كانوا يقيمون في نفس أحياء المسلمين لكن يشترط فيهم أن لا تعلوا منازلهم على المساجد ومسكن المسلمين ، كما كانت لهم ملكيات خاصة بهم ولهم الأحقية في بناء أماكن يقيمون فيها شعائرهم الدينية.⁽⁶⁾

كان اليهود وكما ذكرت سابقا يعيشون في المدن والقرى الكبرى وامتزجوا بالمسلمين فكانوا يتاجرون ويتعاملون معهم فيقرضونهم المال ويذبحون لهم الماشية ويهيئون لهم الطعام.⁽⁷⁾

لقد لعبت الظروف التي ميزت بلاد المغرب الأوسط سياسيا واجتماعيا دورا أساسيا في زيادة النمو الديموغرافي لليهود وازدهار تجارتهم أثر إيجابا على وضعهم الاقتصادي⁽¹⁾،

(1) - السيد سابق، المرجع السابق، ص 49.

(2) - الونشريسي (ت 914 هـ) ، المعيار المعرب ، إشراف محمد يحيى ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ج 11 ، المغرب ، الرباط ، 1981 ، ص 111.

(3) - عبد الرحمان بشير ، المرجع السابق، ص 47.

(4) - محمد قومي، موجع سابق، ص 103.

(5) - فوزي سعد الله ، اتمرجع السابق، ص 64.

(6) - فاطمة بوعمامة ، المرجع السابق ، ص 65.

(7) - الونشريسي ، المصدر السابق ، ج 7 ، ص 60-73-75.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ -

و 9هـ / 13م -15م)

فكانت حالتهم الاقتصادية جيدة ودفع الجزية مفروض على الرجال دون النساء وقيمتها تتراوح بين دينارين وثلاثة دنانير ، ارتفعت نسبة المهاجرين اليهود نحو المغرب الأوسط بعد سقوط الأندلس فاستقروا مع بداية الدولة الزيانية خارج أسوار تلمسان في حي خاص بهم كان يوجد فيه ما يقارب خمسمائة دار لهم⁽²⁾ ، وكان لهم قنصل خاص يسعى لتوفير العدل والراحة للجاليات اليهودية ويسمح لهم بمقابلة السلطان أو الأمير في كل شهر⁽³⁾، وكانت المحاكم الإسلامية هي التي تفصل في الخصومات الواقعة بين المسلم واليهودي⁽⁴⁾، عاد اليهود بقوة على الساحة السياسية والاقتصادية مع القرنين 7 هـ و 9 هـ فكسبوا إحترام الخلفاء والأمراء المسلمين الذين أصبحوا كثيرا ما يستشيرونهم في الأمور السياسية وكذا المالية وأدجهم في الحياة الإدارية واعتبروهم بذلك مواطنين لهم كامل الحريات وعليهم كامل الواجبات⁽⁵⁾ ، استمر اليهود بالسكن خارج أسوار تلمسان إلى غاية منتصف القرن 9هـ ثم بدؤوا يدخلون المدينة ويتخذون منها المساكن والفضل في ذلك يعود إلى الطبيب اليهودي (أفرايم عنقاوة) الذي تمكن من معالجة زوجة السلطان الزياني أحمد الناصر الزياني⁽⁶⁾ (866 هـ / 1462م) والذي عجز أطباء تلمسان عن معالجتها وكان هذا الطبيب من يهود الأندلس المهاجرين ، رفض أخذ المال من السلطان كمكافئة لجهوده وطلب من السلطان أن يسمح لليهود من السكن داخل تلمسان وقبل السلطان ذلك، كما عمل حكام الدولة الزيانية على دعم وتشجيع الحركة التجارية فوقروا الأمن والماء للطرق التجارية وأقاموا الفنادق والمؤسسات الاقتصادية

(1) - فوزي سعد الله ، المرجع السابق ، ص 33.

(2) - بسام كامل عبد الرزاق ، المرجع السابق، ص 154-155.

(3) - عبد العزيز فيلاي ، المرجع السابق ، ص 139.

(4) - فاطمة بوعمامة ، مرجع سابق، ص 62.

(5) - فوزي سعد الله ، مرجع سابق، ص 50.

(6) - بسام كامل عبد الرزاق ، المرجع السابق، ص 155.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ -

و 9هـ / 13م - 15م)

و عملوا على جذب التجار داخل البلاد وخارجها ونظموا المعاملات التجارية وحسنوا أوضاع التجار، وتتنوع التجار بتلمسان بين سكان أصليين ويهود و مسيحيين وكانوا يتميزون بالأخلاق العالية فكانوا يعاملون الناس بإخلاص وأمانة كما أن التجار اليهود هم الأقوى من الناحية المالية وقد سيطروا على التجارة البرية والبحرية بين تلمسان وأوروبا وبين تلمسان وبلاد السودان.(1)

وقد شهد إقليم توات(2) في بلاد المغرب الأوسط إحتكار التجارة من طرف يهود المنطقة الذين سيطروا عليها ومارسوا الممارسات البيئية رغم المعاملة الطيبة التي تمتعوا بها من قبل المسلمين ودولة الاسلام ، دخل المغيلي(3) إلى الإقليم قدم إليه من تلمسان سنة 870 هـ ، وأثناء فترة تعلمه بمنطقة تمنطيط التي كثر فيها اليهود لاحظ الإمام النفوذ التجاري لليهود وأنهم لم يلتزموا بأحكام أهل الذمة وأنهم قربوا لهم الدجالين اليهود والمحاربين الذين يستعينون بهم في أمورهم(4) ، أراد المغيلي إصلاح الوضع فدعى إلى هدم كنائسهم وقتالهم وإتباع الشرع فيهم تنازعه في ذلك قاضي الإقليم عبد الله العضويني و علماء آخرين من تونس وتلمسان وفاس.(5)

(1) -سام كامل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 155-192-193.

(2) - إقليم توات يبدأ عند نهاية الساورة ويمتد على شكل هلال يتخلق حول هضبة تادميت وقصوره كثيرة أكثر من ثمانمائة قصر موزعة على أقاليمية الثلاثة منطقة قورارة ومنطقة قوات الوسطى ومنطقة تيديلكت . أنظر : قومي محمد ، المرجع السابق، ص 63 - 64 - 65 - 67.

(3) - العلامة المحقق القدوة الصالح السني أحد أذكى العالم المشهور بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان فصيح اللسان محبا في السنة جدليا نظرا محققا له تأليف كثيرة منها البدر المنير في علوم التفسير وتفسير الفاتحة ومصباح الأرواح في علوم الفلاح ، أدركته المنية سنة 909 هـ ومات بإقليم توات. أنظر : ابن مريم التلمساني (كان حيا سنة 1014هـ)، البستان ،مراجعة محمد بن ابي النسب ،المدرسة الثعالبية ، الجزائر ، 1908م، ص 253-255.

(4) - قومي محمد، المرجع السابق، ص 107-108.

(5) - ابن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص 253-255.

وراسل العضويني فقهاء تلمسان وفاس يخبرهم بما أمر به المغيلي وأنه أفتى هو يترك الكنائس على حالها مستعينا في الرأي بما تركه أهل العلم حول هذا الأمر وذكر أن البرزلي في نازله له تحدث على أن النصارى طلبوا بناء كنائس وبيع في موضع استقرارهم وأباح هو ذلك من أجل إقامة شريعتهم لكن يمتع عليهم ضرب الناقوس، لكن المغيلي خالقه في ذلك وذهب إلى أن هدمها واجب و يستوجب قطع الرؤوس في حال منع ذلك، وأن الذي يدعوا إلى منع هدمها من أهل النار لأنه في هذه الحالة ينصر دين الكفر ويشجع على بيت يسب فيه رسول الله⁽¹⁾ ، لكن رغم هذه الاستثناءات التي فرضتها الظروف والتجاوزات عاش اليهود حياة جد عادية شاركوا المسلمين الأفراح والأحزان و نالوا الرعاية والاهتمام من قبل الحكام.⁽²⁾

2- إسهامات النخب العلمية في التكافل الاجتماعي :

أ- الفقهاء:

إحتك الصلحاء والعلماء بمجتمع المغرب الأوسط فجمعتهم به علاقة وطيدة مبنية على التآلف و الامتزاج⁽³⁾ ، فاندمجوا في النسيج الاجتماعي ونالوا تقدير ومحبة الناس وحظوا بمكانة خاصة عندهم فالى جانب درجتهم العلمية المرموقة كانوا سباقون بدورهم إلى تقديم

(1)- الوثنريسي ، المصدر السابق، ج2، ص 214 - 215.

(2)- فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 78.

(3)- نبيل شريخي ، المرجع السابق ، ص 120-128.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط مابين القرن (7هـ -

و 9هـ / 13م - 15م)

الخدمات والمساعدات بالطرق المختلفة وبالشكل الدائم⁽¹⁾، فانتشرت الألفة بينهم وبين كافة الناس النابعة من طيب أخلاقهم وخصالهم المرضية، وقد كانت حياة الصلحاء بسيطة فنجدهم متواضعين في المأكل والملبس و المسكن فمنهم من كان فقيرا إلى درجة أن وصف ابن الزيات الحباك أبو علي اعباس الصنهاجي (ت 613 هـ/1216م) أنه كان يصيح أمام الديار من ينقل له الزيل مقابل كسر خبز يحملها إلى الفقراء ويأكلها معهم⁽²⁾، وكان الشيخ أبي الحسن علي بن عمران الملياني (ت 670 هـ/1271 م) من شدة تواضعه يحمل خبز داره إلى الفرن و يشتري ضروريات منزله ويحملها بنفسه وكان يمتنع أن يجعل شخصا آخر يفعل ذلك منه ويذكر الغبريني أن الشيخ العابد أبو النجم هلال بن يونس امتلك أرضا كان يسترزق منها ويتصدق بأكثرها وكان أبو الحسن النميري (668 هـ / 1270م) يؤثر الفقراء من ماله ولا يبخل عليهم بشيء⁽³⁾.

كما اقتصرت معيشة أبو إسحاق إبراهيم التنسي (ت 680هـ/1281م) على بعض الطعام يأتيه به الصالحون من الونشريسي وكان أبو عبد الله ابن أبي بكر ابن مرزوق (ت 861 هـ / 1282 م) يكتفي ببيضة واحدة في اليوم⁽⁴⁾، هذا الأمر يجعلهم أكثر فئة تشعر بأحوال الناس أكثر فئة تراعي إعانة المجتمع، فكانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم

(1) - مفتاح خلفات، " علاقة صوفية زواوة بمجتمع بجاية خلال العصر الوسيط"، صدر ضمن كتاب بحوث ودراسات في التراث و المجتمع الجزائري، تقديم ومراجعة بن عبد الله نور الدين، ط1، نواصري للطباعة والنشر، الجزائر، 2019م، ص 2.

(2) - ابن الزيات (ت 617 هـ/1220م)، التشوق، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، كلية الآداب، الرباط، 1997 م، ص 436.

(3) - الغبريني (ت 714 هـ/1314م)، عنوان الدراية، تحقيق عادل نويهيض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979 م، ص 185 - 227 - 241.

(4) - الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 هـ / 12 و 13 الميلاديين (نشأته، تياراته، دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، دار الهدى، عين مليلة، 2004، ص 161 - 162 - 168.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ -

و 9هـ / 13م - 15م)

خاصة فلا يضيعون فرصة مساعدة الآخر رغبة منهم في كسب رضا الله والفوز بالثواب في الآخرة ، كما تصدق أبو الفضل محمد القرشي القرطبي ت 662 هـ / 1263 م بصرة من الدراهم لأحد فقراء بجاية⁽¹⁾ وقام الخطيب أبو زيد بن أبي يعيش كان بين 689 - 703 هـ / 1290 - 1303 م بفتح حانوته لأفراد مجتمعه ليأخذ منه ما يحتاجونه إليه من أشياء ضرورية تعاطفا وتكافلا معهم⁽²⁾.

وكان الشريف التلمساني (ت 771هـ / 1370م) كثير النفقة قليل الإمساك وإذا قصده أحد لا يبخل عليه من عطائه وكان يطعم الطلبة أطيب الأطعمة وقد وصفه ابن مريم بأنه صاحب النفس الكريمة وأنه كان بساما متواضعا للناس كثير الشفقة عليهم⁽³⁾ ، ومن شدة ورع المشايخ وزهدهم في الدنيا كان منهم من يرفض أن يتقاضى مقابل خدمة التدريس فكان الشيخ أبو محمد بن يوسف الخطيب (ت 640 هـ / 1242 م) لا يأكل من مرتبه شيء بل يصرفه على الفقراء والمحتاجين وينفق نفسه من عقار ورثة على أبيه ببلده الجزائر وابنه الصالح الفاضل أبو العباس كان كثير الصدقة على الناس⁽⁴⁾ ، كما رفض الشيخ الشريف التلمساني (ت 771هـ / 1370م) أن يأخذ مرتبا في المدرسة التي يدرس فيها⁽⁵⁾ ولم يقبل عرض أبو زكريا يحيى ابن محبوب (ت 677هـ / 1278 م) في أن يجعل له مرتبا من الديوان كل شهر⁽⁶⁾.

(1) - سمية مزدور ، المرجع السابق ، ص 138.

(2) - ابن مريم (كان حيا سنة 1014هـ) ، المصدر السابق ، ص 167-169-170.

(3) - الغبريني ، المصدر السابق ، ص 245 - 246.

(4) - ابن مريم ، المصدر السابق ، ص 175.

(5) - الغبريني ، المصدر السابق ، ص 104.

(6) - ابن مرزوق (ت 781هـ / 1376م) ، المناقب المرزوقية ، تحقيق سلوى الزهراوي ، ط1 ، وزارة الأوقاف و الشؤون

الإسلامية ، المملكة المغربية ، 23008 ، ص 115.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ -

و 9هـ / 13م - 15م)

كما كان الشيخ أبو عبد الله محمد ابن مرزوق محببا عند صبيان بلدته فكانوا يتعرضون له في الطريق محبة فيه ومن شدة تواضعه كان الشيخ يقوم بخدمة نفسه بنفسه ويستدعي خادمه ليجلس ويأكل معه، ويصف ابن سعد الشيخ الحسن أبركان (ت 857 هـ / 1454 م) أنه أحب إلى الناس من أنفسهم وآبائهم .⁽¹⁾

وكان صاحب الوجه البشوش والخلق الحسن الشيخ محمد بن يوسف السنوسي (ت 895 هـ / 1490 م) لين المعاملة مع الناس يعطف عليهم وحظي بمحبة الأطفال الذين كلما رأوه تسابقوا لتقبيل أطرافه.⁽²⁾

يقول المولى تعالى في كتابه الكريم : (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنَعْمَا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتَوَنُّوهُا فَالْفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)⁽³⁾، فلم يتفانى رجال العلم والصلاح في فعل الخير بالتصدق والإحسان إلى الناس والبحث عن أساليب بر تحسن من ظروف أحوال أفراد المجتمع، فقد قام الشيخ إبراهيم التازي (ت 866 هـ / 1462 م) بإدخال الماء إلى مدينة وهران من منابعها البعيدة محاولا التخفيف على الناس عبئ الاتيان بها ويذكر ابن سعد أن الشيخ أحمد الغماري (ت 874 هـ / 1470 م) كان دائم النفع للفقراء والمساكين وسباقا إلى أعمال البر والخير فإذا قصده الناس بالعطايا لا يدخر منها شيئا لنفسه وإنما يفرقها على أهل الاحتياج والفقراء ويتولى فعل ذلك بمفرده وبصفة ابن سعد أنه كان أبا للفقراء وآمالهم فلم يشهد أشد حبا للناس من الشيخ فقد كان يخدم المرضى ويتفقد أحوالهم ويؤنس غربتهم وكان

⁽¹⁾ - ابن سعد (ت 901 هـ / 1496م) ، روضة النسرين ، تحقيق يحيى بوعزيز ، ط1 ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009 ، ص 119.

⁽²⁾ - التبتكتي، المصدر السابق، ص 565.

⁽³⁾ - سورة البقرة، الآية 270.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ -

و 9هـ / 13م - 15م)

يحمل لهم الطعام إلى منازلهم و يسقي لهم الماء (1)، كما كان الشيخ محمد بن يوسف السنوسي (ت 895 هـ / 1490م) لا يقبل العطايا والهدايا من السلاطين لكن إذا ألح الناس عليه لأخذ العطية كان يقوم بتوزيعها على الفقراء والمساكين.(2)

ويتحدث ابن مرزوق عن أبو العباس أحمد ابن مرزوق (ت 741 هـ / 1340 م) أنه كان كل ليلة يتصدق بالخبز على الناس ويتصدق بالثياب كل سنة عليهم وفي أيام البرد والتلج يقضي يومه كاملاً في توزيع الزرع والفحم على المحتاجين ولا يرجع لبيته حتى يفرغ المظمورتين، وكان لأبو عبد الله محمد ابن مرزوق بستان ورثه عن أبيه يقوم بجمع الفاكهة منه فإذا لقيه صبيان صغار أو مريض أو محتاج يعطيه منها وإذا اشتهى أحد الفاكهة أحضرها له وكان دائماً يتصدق من صرة الدراهم التي يحملها وخصص دويبة له ملاصقة لداره يعيش بها نساء عجة من أهل مرييه كان يجالسهن ويقوم بمؤنتهن(3) ، وكان الشيخ عيسى المديوني يوفر لأفراد مجتمعه الحاجات الغذائية خضر وفواكه من بستان يملكه(4).

وقام أحد الصلحاء بالتكافل مع امرأة شكت حالها وبناتها له فأعطاها ماله الذي كان ينوي الذهاب به إلى الحج(5) ، وقصد أحد المحتاجين الشيخ أبو الحسن بن محمد الزواوي يطلب منه القوت ، وكان للرجل عائلة فأخرج له الشيخ أربعة أمداد من القمح كفت ذلك الرجل مدة طويلة من الزمن(6) ، وبمثل هاته الصور العظيمة من التكافل اتصف وتميز

(1) - ابن سعد، المصدر السابق، ص 22-187.

(2) - التبتكتي ، المصدر السابق، ص 566-567.

(3) - ابن مرزوق (ت 781هـ/1376م) ، المناقب المرزوقية ، المصدر السابق ، ص 115.

(4) -نبيل شريخي ، المرجع السابق، ص 138.

(5) -مزدور سمية ، المرجع السابق ، ص 71، 70.

(6) -الغبريني ، المصدر السابق، ص 126.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ -

و 9هـ / 13م - 15م)

أهل العلم والصلاح الذين خصتهم الآية الكريمة في قوله تعالى : (وءاتى المآل على حبه ، ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب).⁽¹⁾

وقام الشيخ ابراهيم الحراييت (ت 638 هـ / 1240 م) بإعطاء بعض ممتلكاته لأحد فقراء بجاية⁽²⁾، لقد جعل بعض العلماء من الحرف التي امتهنوها مصدرا أعانوا به أفراد مجتمعهم فوظفوا معهم عمالا وخدم يستأجرون من عملهم حيث جعل عيسى المديوني على بستانه خادما يجمع الثمار منه ويبيعها ويأخذ من ثمنها أجرا معلوما⁽³⁾ ، وكان الصلحاء مبادرين لحل مشاكل الناس إذ وصف ابن سعد الشيخ أحمد الغماري (ت 874 هـ / 1470م) أنه مسارعا إلى الصلح بين ذي القربى⁽⁴⁾ ، وكان الشيخ محمد بن يوسف السنوسي السنوسي (ت 895 هـ / 1490 م) يقضي حوائج الناس ويصلح بين الخصام⁽⁵⁾ ، كما ساعدوا الفقراء الذين استعصت عليهم فرصة أداء فريضة الحج لقللة حيلتهم فقام أبا عبد الله التاونتي التلمساني بإصطحاب الفقراء من الناس في مركبه المتوجه إلى مكة بدون أن يدفعوا أجرا على الرحلة.⁽⁶⁾

استغل العلماء مناصبهم وعلاقتهم بالحكام فجعلوها وسيلة يعالجون من خلالها أوضاع مجتمعهم، ويذكر في ذلك ابن مرزوق أن امرأة جاءت تشتكي حال ابنها إلى الشيخ أبو عبد الله محمد ابن مرزوق وأن ابنها سجنه السلطان أبي يحيى يغمراس وتصف له حرقتها عليه فدعى لها الشيخ فقالت له المرأة لا أطلب منك الدعاء إنما أريدك أن تكلم

(1) -سورة البقرة ، الآية 176.

(2) - مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 3.

(3) -نبيل شريخي ، المرجع السابق، ص 139.

(4) - ابن سعد، المصدر السابق، ص 187.

(5) - التبتكتي ، المصدر السابق، ص 568.

(6) - الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص 193.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ-

و 9هـ / 13م-15م)

السلطان لينظر في حال إبنه وذهب الشيخ إلى السلطان وهو لم يقابله من قبل وطلب منه أن يعفو على ابن المرأة المسجون فأطلق سراحه السلطان وزال كرب أمه وفي تلك الليلة خرج كل من كان في السجن⁽¹⁾، كما توسط الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن الخياط عند الزيانيين لقضاء حوائج الناس وطلبه دائما يلقي القبول.⁽²⁾

وعندما سأل السلطان الزياني أبو تاشفين الأول (ت 737 هـ / 1337 م) الشيخ أبو العباس ابن مرزوق (ت 741 هـ / 1340 م) على ما يحتاجه طلب منه الشيخ أن يطلق سراح المحبوسين فأجاب له السلطان طلبه⁽³⁾، وكان الشيخ أبركان (ت 857 هـ / 1454 م) مبادرا لإغاثة المهوفين و قضاء حوائج الناس عند السلطان وكان السلاطين يسارعون لقضاء حوائجه ويحبونه ويقصدونه ويلتمسون بركته⁽⁴⁾، لم يسلم مجتمع المغرب الأوسط من التعسفات الضريبية شأنه شأن باقي بلاد المغرب الأخرى وأثقلت الضرائب كاهل الناس الأمر الذي جعل الصلحاء يقفون ويتصدون أمام هذه التجاوزات مدافعين بذلك على أفراد مجتمعهم، إذ استنفر أبو العباس أحمد البجائي الشريف ورفض مثل هذه الأعمال بقوة مثله مثل العالم الصوفي سعادة الرياحي الذي طلب من عامل التراب منصور بن مرني التخفيف من المكوس المفروضة على الناس لكن عامل الزاب رفض ذلك فقرر الصوفي محاربه⁽⁵⁾ كما اعترض الصوفي عبد الله بن منصور (كان حبا منتصف القرن 9 هـ / 15 م)، على سياسة الجباية التي عمل بها الزيانيون.⁽⁶⁾

(1) - ابن مرزوق ، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص 151 ، 152.

(2) - الطاهر بونابي ، المرجع السابق، ص 142.

(3) - نبيل شريخي ، المرجع السابق، ص 142.

(4) - ابن سعد ، المصدر السابق، ص 119-120.

(5) - سمية مزبور ، المرجع السابق، ص 74-75-76.

(6) - ابن مريم ، المصدر السابق، ص 128.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ - و 9هـ / 13م - 15م)

لقد كان أفراد مجتمع المغرب الأوسط يحبون العلماء بكثرة ويتأسفون لفقدانهم وموتهم فقد وصف الغبريني جنازة الشيخ، أبو بكر محمد ابن محرز (ت 655 هـ / 1258 م) باليوم العظيم يشبه يوم العيد.

إذ لم يبقى أحد من الناس لم يحظر⁽¹⁾ وتأسف الناس كثيرا عند موت الشيخ محمد ابن مرزوق (ت 842 هـ / 1438 م)⁽²⁾، وكان السلاطين أيضا يتبعون جناز العلماء فقد سار سلاطين بنو زيان في جنازة أحمد الغماري (ت 874 هـ / 1470 م)⁽³⁾.

ب- المتصوفة :

- جهود المتصوفة في عملية التكافل الاجتماعي زمن المجاعات:

لقد ألفت المغاربة حدوث ظاهرة المجاعات والأوبئة في الفترة الوسيطة⁽⁴⁾، حيث نجد ابن أبي الزرع يتحدث عن قحط شديد ووباء كثير ومسبغة عمت بلاد المغرب كافة ، ويذكر ابن عذاري أن المغرب الأوسط حلت به مجاعة شديدة ووباء أهلك الناس إلى درجة أن أهل البلاد عجزوا على تكفين موتاهم ومواساة الأحياء⁽⁵⁾ ، فالمجاعات شكلت أخطر المصائب التي اجتاحت بلاد المغرب الأوسط والتي كان نتائجها أرواح الكثير من البشر⁽⁶⁾ ، وإذا أنبتنا

(1)- الغبريني ، المصدر السابق، ص 287 - 288.

(2)- ابن مريم، المصدر السابق، ص 208.

(3)- ابن سعد ، المصدر السابق، ص31.

(4)-سمية المزكلاوي، المرجع السابق ، ص 196. ابن هـ / 1341 م).

(5)- ابن عذاري المراكشي (695 هـ / 1296 م) ، البيان المغرب، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط1 ، ج5 ، دار

دار الغرب الاسلامي ، لبنان - بيروت ، 1985 ، ص 181.

(6)- سمية مزدور ، المرجع السابق ، ص 24.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ -

و 9هـ / 13م - 15م)

لمعنى المجاعة في اللغة نجدها إسم لمخصصة وهي عكس الشبع⁽¹⁾، والوباء هو كل مرض عام وهو فساد يصيب الهواء لأسباب سماوية أو أرضية وله علامات مرضية كالحمى والجدي والنزلات والحكة والأورام... وغيرها والطاعون هو مرض من الوباء⁽²⁾، الوباء يصيب أهل البلد بأكمله فالناس يشتركون في نفس الهواء فإذا فسد الهواء عمر المرض⁽³⁾، وسبب فساد الهواء كما جاء عند ابن خلدون هو كثرة العمران وقلة وجود الخلاء بين السكان وما يقابل ذلك من عفن ورطوبات فاسدة فيقع من ذلك المرضى في الرئة و الطواعين هي أمراض ناتجة عن إصابة الرئة⁽⁴⁾، كما نجد أن بلاد المغرب تعرضت لظروف مناخية قاسية قاسية بسبب تحولات بيئية أحدثت خسائر مادية وبشرية بالشكل الهائل⁽⁵⁾، إذ عرف المغرب الأوسط ظاهرة انتشار الجراد خلال القرن السابع هجري، والذي خرب المحاصيل الزراعية ودفع التجار إلى رفع أسعار المنتوجات فعم القحط في البلاد⁽⁶⁾ وشهدت المنطقة الرياح الهائلة⁽⁷⁾ التي أتلفت المحاصيل الزراعية وقتلت الحيوان⁽⁸⁾ وعاش السكان صائفة حر أهلكتهم من شدة العطش⁽⁹⁾، كما كانت الحروب والفتن غالبا ما تؤدي إلى المجاعات

(1) - ابن منصور ، المصدر السابق، ج8، ص 61.

(2) - الزبيدي ، المصدر السابق، ج1 ، ص 478.

(3) - سمية مزدور، المرجع السابق، ص 248.

(4) - ابن خلدون ، المصدر السابق، ص 367 - 368.

(5) - سمية مزدور ، المرجع السابق، ص 115.

(6) - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 253.

(7) - ابن أبي الزرع، الانيس المطرب، دار المنصور ، الرباط، 1972، ص 116.

(8) - سمية مزدور ، المرجع السابق ، ص 115.

(9) - الزركشي (ت 882 هـ / 1477 م) ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، ط2 ، المكتبة

العتيقة ، تونس ، 1966 ، ص 154 - 158.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ -

و 9هـ / 13م - 15م)

وغلاء الأسعار هذا ما نلحظه من الحصار⁽¹⁾ الذي شهدته تلمسان خلال سنة (698 - 706 هـ / 1298 - 1307 م)⁽²⁾ والذي دام ثماني سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام وبلغ عدد القتلى جوعاً مئة ألف وعشرين⁽³⁾ أكل الناس فيه الجيف والحشرات وجميع الحيوانات من فئران وعقارب وضفادع وأكل الناس بعضهم بعض واشتد عليهم الحصار حتى قتلهم جوعاً،⁽⁴⁾ ووصف ذلك التنسي في قوله : (كان على أهل تلمسان بلاد عظيم من غلاء الأسعار ، وموت الرجال ... بلغ فيها الرطل من الملح دينارين وكذلك من الزيت والسمن والعسل واللحم ... وذكر بعضهم أن الدجاجة بلغت ثمانية دنانير ذهباً... فلم يبقى فيها من الرعية إلا نحو المائتين...)⁽⁵⁾ ونجد ابن خلدون في مقدمته يتحدث عن الفتن وما تحدثه من مجاعات داخل البلاد بقوله : (... فلقبض الناس أيديهم على الفلح في الأكثر ، بسبب ما يقع في الدول من العدوان في الأموال والجبايات ، والبياعات والمكوس ، أو الفتن الواقعة في إنتفاض الرعايا ، وكثرة الخوارج لهرم الدولة ، فيقل إحتكار الزرع غالباً ، وليس صلاح الزرع وثمرته مستمر الوجود ، ولا على وتيرة واحدة ، فطبيعة العالم في كثرة الأمطار وقلتها مختلفة ، والمطر يقوي ويضعف ويقل ويكثر ، والثمار والضرع على نسبة ، إلا أن الناس

(1) - حاصرهما يوسف بن يعقوب المريني الذي تولى الحكم من سنة 695 هـ / 1286 م إلى سنة 706 هـ / 1307 م ، حرك جيوشه واستولى على جميع أعمال تلمسان وبنى عليها مدينة مسورة شيد فيها القصور والحمامات والفنادق والأسوار وسماها تلمسان الجديدة المشهورة باسم المنصورة وانتهى الحصار أيام دولة أبي حمو موسى الأول الذي تولى الحكم عام 707 هـ / 1308 م إلى غاية 718 هـ / 1318 م . أنظر : التنسي ، المصدر السابق ، ص 130-132.

(2) - سمية مزبور ، مرجع سابق ، ص 94.

(3) - يحيى ابن خلدون (ت 780 هـ / 1379 م) ، بقية الرواد ، ج 1 ، بيبير بونطانا ، الجزائر ، 1903 ، ص 125. ابن الأحمر (810 هـ / 1407 م) ، روضة النسرين في دولة بني مرين ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1962 ، ص 50.

(4) - ابن الأحمر (810 هـ / 1407 م) ، روضة النسرين في دولة بني مرين ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1962 ، ص 50.

(5) - التنسي ، المصدر السابق ، ص 132.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ -

و 9هـ / 13م - 15م)

وأتقون في أوقاتهم بالاحتكار فإذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس المجاعات فعلا الزرع ، وعجز عن أولوا الخصاصة فهلكوا أو كان بعض السنوات والاحتكار مفقود ، فشمّل الناس الجوع⁽¹⁾، كما يصف لنا الحسن الوزان ما شهده بمدينة المسيلة من فقر بسبب كثرة الضرائب بقوله (... السكان كلهم صناع أو فلاحون يرتدون لباسا رديئا لفقرهم بسبب جيرانهم الأعراب الذين يسلبون مداخلهم وملك بجاية الذي أنقل كاهلهم بالضرائب ...)⁽²⁾.

اعتمد المغاربة على وسيلة التكافل الاجتماعي لمواجهة بها مصاعب الحياة الناتجة بالخصوص من الكوارث الطبيعية ويعتبر التكافل من شيم الأخلاق التي دعى إليها الإسلام ومن المكونات الثقافية التي نشأت عليها شخصية الانسان المغربي⁽³⁾ ، والتضامن هو صمام الأزمة لمجابهة الوباء ونجد رجال التصوف لعبوا الدور الكبير في مد يد المساعدة للناس لا سيما عند المنعطفات المناخية فكانوا بصفة دائمة يسعون لتفريج الكروب ضمن نطاق البر والاحسان⁽⁴⁾ وجعلوا من خلق التواضع والإيثار وخدمة الناس من المبادئ الأساسية التي تقوم عليها شخصياتهم⁽⁵⁾ ، وكان الناس يقصدونهم ويستجدون بهم وقت الحاجة⁽⁶⁾ ، وكان المتصوفة يحاولون دائما تحسين مستوى معيشة الناس والتقليل من حدة المصائب بالدعاء والكرامات والتشجيع على الصدقات ، فلما أصاب أهل العباد⁽⁷⁾ الجفاف

(1) - ابن خلدون ، المقدمة، المصدر السابق ، ص 367.

(2) - الحسن الوزان (ت 10 هـ / 16 م) وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، ط2 ، ج2 ، دار الغرب

الإسلامي، لبنان - بيروت ، 1983 ، ص 52.

(3) - سمية المزكدي، المرجع السابق، ص 215.

(4) - مفتاح خلفات ، المرجع السابق ، ص 2.

(5) - الطاهر بونابي ، المرجع السابق، ص 167.

(6) - بسام كامل عبد الرزاق شقدان ، المرجع السابق، ص 169.

(7) - العباد مدينة صغيرة تشبه الربرض تقع في جبل يبعد عن تلمسان جنوبا بنحو ميل بها دفن الولي سيدي مدين الذي

يفهمه أهل تلمسان يوجد ضريحه في مسجد، أنظر : الحسن الوزان ، مصدر السابق، ج2 ، ص 24.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ -

و 9هـ / 13م -15م)

إلتمسوا الدعاء من الولي الصالح الشيخ واضح فنزل المطر ببركته وامتألت الآبار ورويت المواشي⁽¹⁾، ولما أصاب أهل تلمسان الجفاف قصدوا الصوفي أبو زكريا بن يوغان ليصلي لهم صلاة الاستسقاء⁽²⁾، فلم يخلو زمان من ولي من أولياء الله بحفظ به البلاد ويرحم به العباد كما وصف ابن الزيات الذي تحدث عن مجاعة شديدة أصابت بجاية⁽³⁾، امتألت فيها فيها الشوارع بالمشردين والمعوزين للمأوى والمستلزمات الضرورية وعجز الحكام على إعانتهم⁽⁴⁾، فقام أبو زكريا الزواوي بجمع مبلغ من المال من أعيان بجاية وإكترى به فندقا وكان كلما مر على مسكين في شوارع بجاية دفع له ما يقيه وطلب منه أن يذهب إلى الفندق الذي اكتراه ولما جمع المساكين فيه اشترى لهم اللباس الذي يدفع عنهم البرد وأعانهم بالطعام وأغناهم عن السؤال إلى أن أذهب الناس في العام الثاني⁽⁵⁾، كما كان الفقيه الولي الصالح أبو زيد عبد الرحمان بن يعقوب يتضامن مع الناس وقت المجاعة فعندما جاءه ضعيف سنة المجاعة يشتكي له جوعه وجوع عياله أمر بإعطائه الخبر وكانت داره زاوية يستقبل فيها الواردين من أي مكان⁽⁶⁾، وكذلك كانت لأبو عبد الرحمان النجار صدقات كثيرة على المحتاجين⁽⁷⁾، ويذكر التتبكتي أن محمد بن يوسف السنوسي أمر أهله أن يتصدقوا خاصة وقت المجاعة فيقول من أحب الجنة فليكثر الصدقة خصوصا في وقت الغلاء وكان يكثر

(1) - سمية مزدور ، المرجع السابق، ص 151.

(2) - الطاهر بونابي، المرجع السابق ، ص 167.

(3) - ابن الزيات، المصدر السابق، ص 429.

(4) - الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص 188.

(5) - ابن الزيات ، المصدر السابق ،ص 429.

(6) - ابن مرزوق ، المناقب المرزوقية ، المصدر السابق، ص 299.

(7) - عبد العزيز فيلاي ، المرجع السابق ، ص 255.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ- و 9هـ / 13م-15م)

التصدق بيده⁽¹⁾، وأمر الشيخ أبو الحسن علي التجيبي أهله بسقاية الماء للفقراء عندما أصاب الناس ببجاية جفاف عظيم بسبب قلة المياه وكان يدعو الله أن تنزل المطر ليذهب البأس على الناس⁽²⁾، ومن العلماء من كان ضحية للأوبئة والمجاعات أمثال الفقيه الحافظ أبو عبد الله

النجار الذي هلك في طاعون 749 هـ / 1348 م⁽³⁾ كذلك الشيخ عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله هلك في طاعون جارف عام 749 هـ / 1348 م⁽⁴⁾، ولقي أبو العباس أحمد بن زاغو حتفه في وباء حل بتلمسان سنة 845 هـ / 1441 م كذلك الحافظ محمد بن العباس التلمساني الذي لقي نحيبه في طاعون 871 هـ / 1467 م⁽⁵⁾.

(1)-التبكتي ، المصدر السابق ، ص 568.

(2)-الغبريني ، المصدر السابق، ص 149.

(3)-نبيل شريخي ، المرجع السابق ، ص 34.

(4)-ابن مريم ، المصدر السابق، ص 126.

(5)-نبيل شريخي ، المرجع السابق، ص 34.

الفصل الأول / صور التكافل الاجتماعي في المغرب الأوسط ما بين القرن (7هـ-
و 9هـ / 13م-15م)

الفصل الثاني

الموقف والرعاية الاجتماعية

ببلاد المغرب الأوسط

تمهيد : دور الوقف في تحقيق التكافل الاجتماعي

1- أوقاف المساجد و الزوايا

أ- أوقاف المساجد

ب- أوقاف الزوايا

2- أوقاف المدارس

3- أوقاف المساكين والأسر

أ- أوقاف المساكين

ب- أوقاف الأسر

تمهيد:

دور الوقف في تحقيق التكافل الاجتماعي :

مشروعية الوقف⁽¹⁾ واضحة وصريحة في القرآن والسنة النبوية، يقول الله تعالى :
{ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ }⁽²⁾ ، ففي هذه الآية تنبيه واضح لبني البشر أن لن ينالوا ثواب العمل الصالح ولن يصلوا إلى الجنة حتى ينفقوا مما يحبون⁽³⁾، ويقول تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }⁽⁴⁾ ويقول : { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ }⁽⁵⁾، ويروي عن أبي هريرة أن النبي صل الله عليه وسلم قال : { إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له }⁽⁶⁾.

والوقف بمعنى الحبس والمنع⁽⁷⁾ ومصدره وقف يقف و أحبس الدار أي أوقفها⁽⁸⁾، ومعناه شرعا أن يتصدق الإنسان المالك لأمره بما شاء من ريعه ونخله وكرمه وسائر عقاره لتجري غلاة ذلك وخراجه ومنافعه في السبيل الذي سبلها فيه مما يقرب إلى الله عز وجل والأصل في الوقف أن لا يباع ولا يوهب ولا يورث أبدا⁽⁹⁾ ، أما الحكمة من مشروعيته

(1) يعتبر الوقف أحد أساليب التكافل الاجتماعي في العالم الاسلامي وهو في الحقيقة صدقة تطوعية مستمرة النفع يستمد منها الانسان الثواب والأجر .انظر :السيد المرسي حجازي، المرجع السابق ، ، ص 55.

(2) -سورة آل عمران ، الآية 92.

(3) -القرطبي ، المصدر السابق ، ج5، ص 201.

(4) -سورة الحج، الآية 77.

(5) -سورة التغابن ، ص 16.

(6) -رواه مسلم في كتابه الوصية، باب ما يلحق الانسان من ثواب بعد وفاته، رقم 1631.

(7) - عبد الجليل عبد الرحمان عشور، الوقف، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2000، ص 9.

(8) - الفيروز آبادي ، المصدر السابق، ص 1774.

(9) - ابن عبد البر (463 هـ/ 1071 م)، الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، تحقيق محمد محمد، ط1، مكتبة الرياض الحديثة ، 1978، ص 1012.

الفصل الثاني / الوقف والرعاية الاجتماعية ببلاد المغرب الأوسط

فتمثل في إيجاد موارد ثابتة ومستمرة تلبي حاجيات المجتمع الضرورية والمختلفة وتقوي شبكة العلاقات الاجتماعية وتثبيت قيم التكافل والتضامن والاحساس بالأخوة وهذا كله في سبيل نيل رضا الله تعالى و الوقف نوعان وقف خيري ويشمل مختلف أوجه أعمال البر من بناء مسجد وغير ذلك وقف أهلي يختص به الواقف أهبه وذويه، والوقف نشاط يدخل في إطار البر والاحسان والرحمة والتعاون. (1)

الوقف قائم على مبدأ التكافل الاجتماعي فالغاية منه الاهتمام بالفرد وتحقيق الحياة الكريمة له (2) ونجد هذه المؤسسة قد تكفلت بضعاف المسلمين وقدمت الاعانات للمساكين والمحتاجين (3)، وتتوعت الأوقاف بين الحبس على الزوايا والأضرحة والحبس على الفقراء والمساكين والحبس على المدارس والمساجد والحبس على الذراري والأسر (4)، وكانت هذه المؤسسة تتلقى الدعم المالي من مختلف طبقات المجتمع اللذين يعملون على زرع التكافل الاجتماعي والتضامن بين الناس، والدعم بالدرجة الأولى كان مصدره الأغنياء و ميسوري الحال من المحسنين ومن العقارات والأراضي الفلاحية الموقوفة. (5)

الوقف من أنبل سبل الأنفاق ، وهو الصدقة الجارية التي ساهمت في تحقيق الاستقرار الاجتماعي وفي صنع الحضارة الاسلامية فكان عوناً للدولة في حماية موازنتها العامة من العجز إذ هو مورد هام جداً لصنع التقدم والازدهار والرخاء الاجتماعي وشمل بدوره لأوجه مختلفة من أعمال الخير والتكافل الاجتماعي وإن تعددت أبعاده فهو دائماً يؤول إلى نفع الفقراء والأيتام والمساكين وأصحاب الحاجة وقد وجد هؤلاء الرعاية الكافية بفضل هاته

(1) - السيد المرسي حجازي ، المرجع السابق، ص 69-70.

(2) - بشير مبارك ، " دورية الأوقاف في التكافل الاجتماعي خلال العصر الوسيط، الأوقاف الزينيين بالمغرب الأوسط

انموذجاً" ، مجلة تاريخ المغرب العربي، العدد 6، الجزائر ، 2015، ص 125.

(3) - عبد العزيز فيلاي ، المرجع السابق ، ص 157.

(4) - عبد الجليل عبد الرحمان عشور، المرجع السابق، ص 132.

(5) - عبد العزيز فيلاي ، المرجع السابق، ص 226.

الفصل الثاني / الوقف والرعاية الاجتماعية ببلاد المغرب الأوسط

المؤسسة الخيرية دائمة البر وهذه الرعاية تعبر عن روح التضامن الاجتماعي الذي غرسه الاسلام في نفوس المسلمين. (1)

1- أوقاف المساجد والزوايا :

أ- أوقاف المساجد :

(1) - السيد مرسي الحجازي، المرجع السابق، ص 68، 69.

الفصل الثاني / الوقف والرعاية الاجتماعية ببلاد المغرب الأوسط

إن بناء المساجد والتحصين عليها لتعميرها وترميمها والاعتناء بمتطلباتها أجل واجب عمل يتقرب به العبد إلى الله⁽¹⁾ ، فقد روي عن النبي صل الله عليه وسلم أنه قال : { من بنى مسجداً بنى الله له في الجنة مثله }⁽²⁾ ، وقال عز وجل في كتابه الكريم { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ }⁽³⁾ ، فالمؤمن يثبت صحيح إيمانه بهذا العمل المبارك، بعمارة المساجد وإصلاحها وتصنيفها ، وقد عرف المغرب الأوسط في الفترة المذكورة إهتمام الناس ببناء المساجد والتحصين عليها ونجد المرينيون سباقون لهذا العمل النبيل فقد اهتم الوا الامر منهم ببناء المؤسسات الدينية بعدما خلصوا من تشييد مدينة المنصورة إذ شرع أبي الحسن المريني (ت 749 هـ/ 1348 م) في بناء جامع القياد وخصص له ملحقا لتعليم الطلبة . وأوقف عليه أوقافا تصرف عائداتها لصالح التعليم والأخرى لإرواء الضمئانين⁽⁴⁾ ، كما بنى جامع القصبة بتلمسان والجامع الكبير وجامع الجزائر⁽⁵⁾ ، وكان يشرف على تسيير الأعباس والقيام على الأملاك و الأموال المحبة مسؤول يدعي الناظر وعائدات التحبس كان

(1) -منصور بن عبد العزيز الجديد ، " المسجد في الاسلام حدوده وتاريخه" ، أبحاث ندوة عمارة المساجد ، كلية العمارة والتخطيط ، جامعة الملك سعود، 1999، ص 8. رواه مسلم في كتابه المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل بناء المساجد والحث عليها ، رقم .

(2) -رواه مسلم في كتابه المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل بناء المساجد والحث عليها ، رقم .

(3) -سورة التوبة ، الآية 18. القرطبي ، المصدر السابق ، ج10، ص 135.

(4) -القرطبي ، المصدر السابق ، ج10، ص 135.

(5) -ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين (عرض لأحداث المغرب و تطوراتها في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرائية والفكرية من قبل الاسلام إلى العصر الحاضر)، ط1، ج2، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 1978، ص 159-160. ابن مرزوق ، المسند، المصدر السابق ، ص 402.

الفصل الثاني / الوقف والرعاية الاجتماعية ببلاد المغرب الأوسط

يرم بها الجامع وتغطي على كل متطلباته وكانت تدفع منها رواتب العاملين فيه من إمام ومؤذن وغيرهم.⁽¹⁾

وعندما توفيت والدته أبي الحسن المريني بنى لها مسجدا وحبس عليه مواضع جرت منها المنفعة⁽²⁾، كما حبس السلطان الحفصي أبو يحيى بن أبي زكريا (696هـ/1249م) عندما كان أميرا على قسنطينة ريع معتبر على جامعيين بالمدينة⁽³⁾، وقام أبي يعقوب يوسف المريني (706 هـ/1307م) ببناء مسجد المنصورة أثناء حصاره لمدينة تلمسان وبنى أبي عنان المريني سنة (754 هـ/1353 م) مسجد بمدينة تلمسان سمي بمسجد العلوي، واعتنى سلاطين بنو زيان بتشبيد المنشآت والمؤسسات الدينية فبلغ عدد المساجد في تلمسان ستون مسجدا منها الجامع الكبير ومسجد أبي مدين ومسجد سيدي إبراهيم ومصلى القيادة ومسجد أولاد الإمام ومسجد أبي الحسن⁽⁴⁾، وقد أحبسوا عليها الأوقاف الجليلة التي تعتبر الممول الرئيسي لما تحتاجه هذه المؤسسة⁽⁵⁾، فمثلا مسجد أبي الحسن الذي بناه أبي سعيد يغمراسن⁽⁶⁾ (703 هـ/1303 م) سنة (696 هـ / 1297 م) أحبس عليه عشرون حانوتا وهو من المؤسسات الدينية التي نجحت في تأدية مهامه الاجتماعية بفضل عائدات الأوقاف المخصصة عليه⁽⁷⁾، وقد وسع سلاطين بنو زيان من الممتلكات الوقفية التي كانت

(1) - داود الغري، قضايا الأساسية في المغرب الأوسط خلال القرنين (9-10هـ / 15-16م)، رسالة ماجستير، تحت إشراف بركات إسماعيل، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة 2015-2016، ص 20-21

(2) - ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 243.

(3) - ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 163.

(4) - نبيل شريفخي، المرجع السابق، ص 40-41-42.

(5) - بشير مبارك، المرجع السابق، ص 127.

(6) - هو أبو سعيد عثمان ذو المآثر الحسنة والشيم المرضية تولت الحكم عام (681 هـ / 1283 م) سنة (703 هـ / 1307 م) وقد شهد حصار يوسف بن يعقوب المريني على تلمسان توفي والحصار لازال قائم على المدينة سنة ثلاثة وسبعمائة. أنظر: التنسي، المصدر السابق، ص 131-139.

(7) - بشير مبارك، المرجع السابق، ص 128.

الفصل الثاني / الوقف والرعاية الاجتماعية ببلاد المغرب الأوسط

تتكفل بتقديم الخدمات المختلفة للرعية وبهذا تمكنوا من كسب ود الناس ، وقد توفرت عدة مواضع محبسة على مسجد سيدي ابن زكري الذي تأسس في القرن التاسع هجري في مدينة تلمسان⁽¹⁾، وبذكر الونشريسي في نازلة له عن مسجد حبس عليه الناس والملوك وكانت تصرف عائداً أحباسه في سبل الخير وعلى المدرسين والمؤذنين و المشتغلين فيه، فهذه الصدقة الأصل فيها إيصال النفس للمحتاج.⁽²⁾

كما أحبس ملوك بني مرين المصاحف والكتب الدينية وقاموا باختطاطها وسار على نهجهم الزيانيون فقد أحبس أبو حمو موسى الثاني عام (706هـ / 1359 م) الكتب على الجامع الكبير⁽³⁾ وقام السلطان أبو زيان محمد الثاني⁽⁴⁾ (801 هـ / 1398 م) بنسخ عدة كتب كالقرآن الكريم وصحيح البخاري وكتاب الشفاء لأبي الفضل عياض وحبسها في خزانة بمقدم الجامع الأعظم بتلمسان⁽⁵⁾، واهتم الناس أيضاً بتحبيس كتبهم ومكتباتهم لصالح العلم وأهله.⁽⁶⁾

وقد لعبت المساجد والجوامع الدور الهام في الحياة العلمية فكانت مجلساً علمياً يحفل بالطلاب عن بعد تأسيس المدارس ضلت تسير على النهج.⁽⁷⁾

ونجد أهل المغرب الأوسط قد تعلقوا بنظام الأوقاف معتبرينه من أعمال البر والخير وهو يمثل رمزا من رموز التكافل الاجتماعي، فأحبسوا دورهم وأراضيهم وجناتهم وممتلكاتهم

(1) - عبيد بوداود ، " قراءة في أوقاف مدارس وزوايا تلمسان الزيانية " ، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 8 ، معسكر ، 2008 م، ص 8.

(2) - الونشريسي ، المصدر السابق ، ص 72 - 237.

(3) - عبيد بوداود، المرجع السابق ، ص 6.

(4) -تولى الحكم من سنة (796 هـ - 1394م) إلى (801 هـ - 1399 م) وكان من أهل العلم فلم تخلو حضرته من مناظرة أو مذاكرة أو محاضرة وفي فترة حكمه ازدهرت الحياة العلمية ببلاد المغرب الأوسط. انظر : التنسي ، المصدر السابق ، ص 210-211.

(5) -المصدر نفسه ، ص 211.

(6) - بشير مبارك ، المرجع السابق ، ص 131.

(7) - نبيل شريخي ، المرجع السابق، ص 40.

الفصل الثاني / الوقف والرعاية الاجتماعية ببلاد المغرب الأوسط

لصالح المساجد⁽¹⁾ ، ويذكر في هذا الونشريسي عن رجل قام بحبس زيتون بستانه على مسجد وكان يبيع تمره في كل سنة ويشترى من ثمنه الحصر للمسجد وكان يقام الوقيد بزيتته⁽²⁾، كما تحدث في نازلة أخرى عن رجل خصص غلات جنان له لينفقها على مسجد⁽³⁾، وأحباس المساجد لها خدمات مختلفة فحبس يخصص للبناء والترميم وحبس يخصص لتزويد المسجد بالحصر والزيت والشمع للقراءة⁽⁴⁾ ، وجاء في المعيار أن رجلا من بلاد المغرب قام بالحبس على مسجد شريطة أن ينتفع به أصحاب المذهب المالكي وخصصت امرأة جزءا من دارها لصالح مسجد بلديتها، وأوصى رجل قبل وفاته أن يجعل ثلث أحباسه لمسجد بلديته وقام رجل بحبس داره وجعل عائدات الوقف على المسجد الجامع.⁽⁵⁾

والمساجد تحبس للصلاة ولفعل الخير فأحيانا يحل المسجد محل الديار فينزل في المبيت فيه المضطر و كان يحتوي الجامع خزائن من الزيت والقناديل والخشب والجبس وغيرها من أمور و إذا إحتاج الفقراء من ذلك طلبوا من إمام المسجد أن يعطيهم فيذكر البرزلي في نازلة أن للجامع زيت يستصبح منه وكان الناس يتسلفون من إمام المسجد بعض من الزيت⁽⁶⁾ ، كما جاز للأئمة أن يصرفوا من فضلة الأحباس ومن الأئمة من خصص أحباسا على مسجد وكانت تصرف عائداته على إمامه ومؤذنه وكاتبه وقارئه والخزانيين والخدام وعين لكل شخص قدرا مخصوصا⁽⁷⁾ ، وإذا كانت غلات المسجد كثيرة وواسعة كانت كانت تدخر لوقت الحاجة، وأمواله تصرف على مرافقه فكانت تخص لحرث الأرض التابعة

(1) - داود الغربي، المرجع السابق، ص 1-37.

(2) - الونشريسي ، المصدر السابق ، ج1، ص 396.

(3) - نفس المصدر ، ج7، ص 84.

(4) - نفسه ، ج7، ص 139-140.

(5) - نفسه ، ج7، ص 274-276 ، 277-443.

(6) - البرزلي (841هـ/1438م) ، فتاوى البرزلي ، تحقيق محمد محمد، ط1، ج1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت، 2002، ص 391-394،393.

(7) - الونشريسي ، المصدر السابق ، ج7، ص 259-283.

الفصل الثاني / الوقف والرعاية الاجتماعية ببلاد المغرب الأوسط

له ومن عادة الملوك التسلف من مال الأعباس لبناء المساطب التي هي عبارة عن أماكن مخصصة للجلوس⁽¹⁾ ، ويذكر ابن الزيات أن أحد تجار الصحراء يدعى حمود بن سمعون اللخمي وضع أساسا على جامع تلمسان وكان الأمراء يتسلفون من مال الأعباس.⁽²⁾

ب- أوقاف الزوايا :

تأسست في بلاد المغرب الأوسط الكثير من الزوايا⁽³⁾ والتي تم الحبس عليها⁽⁴⁾، تقوم الزاوية بعدة أدوار فعلى الصعيد الديني هي مقر يجتمع فيه أهل التصوف للعبادة والذكر⁽⁵⁾ وعلى الصعيد الثقافي كانت تشارك المسجد في بعض وظائفه الأساسية خاصة المساهمة في تعميم التعليم على مختلف شرائح المجتمع وعلى الصعيد الاجتماعي الزاوية لها الدور الفعال في تحقيق التضامن والتكافل الاجتماعي فهي الملاذ الذي يقصده جميع أطراف المجتمع لطرح قضاياهم ومعالجتها والمكان الذي يلجؤون له أيام المصائب⁽⁶⁾ ، وكانت المكان الذي يسمح للطلبة أن يسكنوا فيه⁽⁷⁾ والمكان الذي يأوي المتجولين ويطعم المسافرين⁽⁸⁾.

(1) - الوثريسي ، المصدر السابق ، ج 7 ، ص 298-265-478.

(2) - ابن الزيات، المصدر السابق، ص 111.

(3) - كلمة الزاوية تطلق على مسجد مخصص لطائفة من الصوفية أو على ضريح لأحد الأولياء وتتصل بها غالبا مقبرة يدفن فيها من كان له علاقة بالطريقة أو من كانت له قرابة للولي وكثيرا ما تلحق بها حجرات ينزل بها الضيوف وكذلك المنقطعون للعلم أو للعبادة . أنظر : داود الغري، المرجع السابق ، ص 23.

(4) - المرجع نفسه ، ص 22.

(5) - كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب من خلال نوازل و فتاوى المعيار للوثريسي، مركز الاسكندرية ، الاسكندرية ، 1996 ، ص 117.

(6) - الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص 227-228.

(7) - كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 23.

(8) - عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص 148-149 .

الفصل الثاني / الوقف والرعاية الاجتماعية ببلاد المغرب الأوسط

إهتم أهل المغرب الأوسط بالتحبب على الزوايا مثلها مثل المساجد والمدارس وكان يشرف على التحبب الملوك وعامة الشعب من أهل الخير والبر⁽¹⁾، وعائدات الأحباس تؤمن بها مرتبات مؤذنيها و أئمتها وأمور الصيانة وغير ذلك ، ويذكر الونشريسي أن امرأة قامت بحبس زاوية على فقراء الوقت (المتصوفة) وسافرت وبقيت تلك الزاوية مكانا يجتمع فيه المتصوفة⁽²⁾، كما اشتهر في إقليم البطحاء بالمغرب الأوسط أحد الأولياء القاطنين فيه أنه كان يجمع مبلغا سنويا من الهدايا التي تصله من كل البلاد ويقوم بإطعام الفقراء منه وكانت زاويته ملجأ للغرباء⁽³⁾، وكانت زاوية الشيخ إبراهيم التازي المعروفة بزاوية سيدي الهواري تخصص المرافق للزوار وأبناء السبيل وهي زاوية مليئة بالكتب العلمية الكثيرة.⁽⁴⁾

وكان أثرياء بلاد المغرب يعيشون مواضع مختلفة على الزوايا من بساتين وعقارات كلها كمصلحة فقراء الوقف فينفقون عائدات الأملاك عليهم ويقدمون لهم الهدايا إذ أهدى رجل للمتصوفة دارا و أوصى أن تكون للذكر ولمدح النبي صلى الله عليه وسلم، كما كان الملوك والسلاطين ينظرون لمصالح الزوايا وخصصوا لشيخ المتصوفة الرعاية والعناية وإذ عفو بهم من الضرائب تكريما لهم⁽⁵⁾، واهتموا كذلك بتأسيس الزوايا لزاوية أبو الفضل بن محمد القرطبي (ت 662هـ / 1263 م) وزاوية سيدي أبي الحسن التي شيدها السلطان أبو سعيد عثمان الزياني (703هـ / 1305 م).

(1) - الونشريسي ، المرجع السابق ، ج7، ص 118.

(2) - داود الغربي، المرجع السابق ، ص 23،24.

(3) - سمية مزبور ، المرجع السابق ، ص 71.

(4) - محمد بلحاج ، مخطوط النجم الثاقب فما لأولياء الله من مفاخر المناقب " الجزء الأول" دراسة وتحقيق، مذكرة ماجستير ، تحت إشراف بن معمر محمد، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2007 ، 2008، ص 63-117.

(5) - كمال السيد أبو مصطفى ، المرجع السابق، ص 109 - 110.

الفصل الثاني / الوقف والرعاية الاجتماعية ببلاد المغرب الأوسط

فكان يمولها بما تحتاج ويقوم بخدمة المريدين فيها⁽¹⁾، كما تنوعت أوقاف أبو حمو موسى الثاني على الزاوية التي بناها على ضريح والده والتي تحمل دخلا كبيرا مصدره عدد كبير من الحوانيت وكوشة وفندق وأراضي زراعية وأشجار والتي كانت تصرف على الزاوية قبل استكمال بنائها وتم الانتهاء من البناء سنة (765هـ/1363م) واستدعى السلطان الشيخ الشريف التلمساني ليقراً في الزاوية⁽²⁾، كما كان السلطان أبو غبان المريني يقيم المستودعات ويجعل فيها قاضي يتولى أموال الأحباس ومتفادات الأوقاف وأموال المواريث والأيتام وأقام الزوايا وكان يطعم الفقراء و المساكين ومن الزوايا التي بناها زاوية سيدي العلوي بتلمسان.⁽³⁾

شكلت الزاوية الموضع والمكان الذي يعنى بتقديم الخدمات الاجتماعية التكافلية الجمة للوافدين إليها فهي تقوم بإطعام المحتاجين وإيواء عابري السبيل كذلك طلبة العلم فهي المركز التعليمي الذي يبسط المعرفة والذي يلتجأ إليه الطلبة للتعلم وحفظ القرآن والمكوث فيها، وكانت معظم موارد الزوايا تأتي من عطايا السلاطين وصفات الناس وأموال الأوقاف وهذا الدعم جعل الزاوية تنشط وبشكل ملحوظ في بلاد المغرب وتنتشر عبر أرجائه ومن أبرز هذه الزوايا زاوية العباد وزاوية العلوي وغيرهم الكثير.

(1) - الطاهر بونابي ، المرجع السابق، ص 225.

(2) - عبيد بوداود، المرجع السابق، ص 5.

(3) - ابن الحاج النميري ، المصدر السابق، ص 129.

2- أوقاف المدارس :

تعتمد المدرسة على الوقف كمولد أساسي لأغلب أنشطتها وخدماتها التعليمية والتربوية والطالب لم يكن مكلف بدفع شيء مقابل معاشه وسكنه وطلب العلم⁽¹⁾ إذ وفر الوقف على عائلات الطلبة كامل المصاريف الدراسية⁽²⁾ ، وخلق البيئة التعليمية المناسبة لهم والتي دعمتهم وحفزت الطالب على تقديم كل ما لديه من طاقة إنتاجية علمية⁽³⁾ كذلك المدرسين والشيخ كانوا يحصلون على مرتب شهري وسكن قرب مكان التدريس⁽⁴⁾ ونالوا الكفاية المادية والمكانة الاجتماعية المميزة، كما تعددت أوجه الاتفاق على المدارس بين عقارات ومباني⁽⁵⁾، وهذه المؤسسة التعليمية تحتاج إلى نفقات كبيرة مرتبات تصرف على القائمين عليها ومستلزمات بناء وغير ذلك والسلطة تعتبر أكثر جهة مشرفة على التحييس لصالح المدارس.⁽⁶⁾

(1) - سعيد منصور مرعي القحطاني ، إسهام الوقف في دعم الحركة العلمية في القرن السابع الهجري، رسالة ماجستير ، تحت إشراف السعيد محمود السعيد عثمان، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، جامعة أم القرى ، (1430-1431هـ) ص 110.

(2) - بشير مبارك، المرجع السابق ، ص 127.

(3) - سعيد منصور مرعي القحطاني ، المرجع السابق ، ص 110.

(4) - بسام كمال عبد الرزاق شقدان ، المرجع السابق، ص 228.

(5) - سعيد منهور مرعي القحطاني، المرجع السابق، ص 111.

(6) - فاطمة الزهراء عمارة ، المدرسة التعليمية بتلمسان خلال القرنين 8 و 9هـ/ 14 و 15 م ، رسالة ماجستير، تحت إشراف محمد بن معمر، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، قسم الحضارة الاسلامية ، جامعة وهران، 2009، ص 324 - 325.

الفصل الثاني / الوقف والرعاية الاجتماعية ببلاد المغرب الأوسط

فقد أحبس سلاطين المغرب الأوسط الحمامات والأراضي والحدائق وكانت عائداتها تصرف على الطلبة والمعلمين⁽¹⁾، وأوقف السلطان أبو حو موسى الأول⁽²⁾ (718هـ/1318م) أوقافا عظيمة على مدرسة أولاد الإمام التي بناها وتمثلت تلك الأوقاف في ثلاثون حانوتا للصاغة وكوشة وحمام وفرن وأراضي زيتون ورحاها و معاصرها وكان الحبس تام ومطلق على المدرسة.⁽³⁾

كما كانت المدارس التي أنشأها أبي الحسن المريني سواء في تلمسان أو باقي المناطق ذات نفقات كبيرة⁽⁴⁾ فنظم الأحباس وكان يجري المرتبات على الطلبة⁽⁵⁾ ومن المدارس والتي والتي أنشأها مدرسة العياد⁽⁶⁾ فقد اهتم السلاطين ببناء المدارس وكانت حسنة وجيدة البناء وفي تلمسان يوجد خمس مدارس بعضها شيدها ملوك تلمسان والبعض الآخر ملوك فاس وكانت تتكفل بإعانة الطلبة وأصحاب العلم يشكل منتظم⁽⁷⁾، وكان السلطان أبا تاشفين عبد الرحمان الأول⁽⁸⁾ (بعد 783 هـ / 1981م) مولعا ببناء المنشآت العمرانية ومن مشاريعه المهمة المدرسة التي بناها أمام الجامع العظيم⁽⁹⁾ تخرج منها علماء كثر أمثال أبو عبد الله

(1) - بسام كمال عبد الرزاق شقدان ، المرجع السابق، ص 171.

(2) - هو موسى بن عثمان بن يغمراسن أبو حمو رابع سلاطين بن عبد الواد من آل زيان في تلمسان وبلاد المغرب الأوسط خلف أخوه أبو زيان بعد وفاته عام 707 هـ (665 هـ - 718 هـ / 1267 م - 1318 م) واشتغل بإصلاح مدينة تلمسان وتحسينها للدفاع عنها أمام غارات المرينيين و أخضع الكثير من القبائل المجاورة في الشمال والجنوب و زحف حتى وصل بجاية وقسنطينة اللتان كانتا تحت حكم الدولة الحفصية بتونس ، كانت مدة حكمه عشرين . أنظر : الزركلي ، المصدر السابق ، ج 7 ، ص 325.

(3) - بشير مبارك، المرجع السابق، ص 129.

(4) - فاطمة الزهراء عمارة ، المرجع السابق ، ص 81.

(5) - ابن مزوق ، المسند ، المصدر السابق، ص 406.

(6) - نبيل شريخي ، المرجع السابق ، ص 44.

(7) - الحسن الوزان ، المصدر السابق، ج2، ص 21.الثنتي، المصدر السابق، ص 180.

(8) - هو عبد الرحمان بن علي بن عمر بن عثمان ابن يعقوب المريني أبو تاشفين أو أبو زيد من سلاطين دولة بني مرين بالمغرب . أنظر : الزركلي ، المصدر السابق، ج3، ص 317.

(9) - عبيد بوداود ، المرجع السابق، ص 3.

الفصل الثاني / الوقف والرعاية الاجتماعية ببلاد المغرب الأوسط

محمد المقرئ⁽¹⁾ (795 هـ/1393م) وقدم للتدريس بها العقبة أبو عبد الله السلاوي⁽²⁾ (819 هـ/1416م).

ويذكر صاحب البغية كما جلس السلطان، أبو حمو موسى الثاني (791هـ/1388م) على كرسي العرش سنة 760 هـ فتح صندوق الأوقاف المنوع ذهباً و فضة وبني مدرسة أمام ضريح والده أبي يعقوب ومدلها يد الاتفاق وضاعف عليها الجرايات وسميت المدرسة بالمدرسة اليعقوبية⁽³⁾ ، ووصف النسبي ذلك بقوله (فلما كملت المدرسة ... احتفل بها و أكثر عليها من الأوقاف، ورتب فيها الجرايات ... فلما انقضى المجلس أشهد بتلك الأوقاف وكسا طلبتها كلهم، و أطعم الناس و طول الله مدته حتى ختم السيد أبو عبد الله المذكور تفسير القرآن العزيز فيها ، فاحتفل أيضا لحضور ذلك الختم وأطعم فيها الناس ...)⁽⁴⁾

كما أنشأ أبو العباس أحمد العاقل⁽⁵⁾ (855 هـ/1451م) للشيخ أبي الحسن بن مخلوف أبو كان مدرسة وأوقف عليها الأوقاف الجبلية⁽⁶⁾ ، وكانت تبني المدارس من الحجر الجيد وتتميز بكثافة الزخرفة والتزيين وأسهمت في تطوير الفن المعماري⁽⁷⁾ ، والحبس

(1) - هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الرحمان التلمساني شهر بالمقرئ من أكابر علماء المذهب المتأخرين وكان مجتهد ودؤوب و حفظا وذو عناية وإطلاع صنف في الفقه والتصوف وكان يكتب الشعر وكان يحفظ الحديث والتاريخ والآداب تولى القضاء بفاس عام 746 هـ توفي فيها ثم تم نقله إلى مسقط رأسه تلمسان سنة 795 هـ . أنظر : ابن مريم، المصدر السابق ، ص 115 و التتبيكي ، المصدر السابق ، ص 420.

(2) - هو محمد بن محمد بن عمران أبو عبد الله السلاوي الشهير بالمجرادي وهو من أهل النحو وله في النحو سبعون بينا شرحه على ابن أحمد الرسموكي في مبرز القواعد الاعرابية من القصيدة المجرادية وله إيضاح الأسرار والبدائع ، أنظر : الزركلي، المصدر السابق، ج7 ، ص 45.

(3) - يحيى ابن خلدون ، المصدر السابق، ج2، ص 228-283.

(4) - التتسي، المصدر السابق، ص 180.

(5) - هو أبو العباس أحمد العاقل ابن أبي حمو ذو المروءة الكاملة والشيم الفاضلة بويعبتلمسان كأمر عليها سنة 834 هـ وهو من سلاطين بني مريم وهو من الحكام المهتمين بالعلماء والشيوخ فكانت له العناية الكبيرة بالولي الزاهد القطب القوت وغيره الكثير توفي أوائل سنة خمس وخمسين . أنظر : التتسي ، المصدر السابق، ص 247-249.

(6) - فاطمة الزهراء عمارة، المرجع السابق ، ص 50.

(7) - سعيد منصور المرعي القحطاني ، المرجع السابق، ص 112.

الفصل الثاني / الوقف والرعاية الاجتماعية ببلاد المغرب الأوسط

والحبس على المدارس لم يقتصر فقط على السلاطين ففي نوازلالونشريسي يذكر فيها أن من الناس من بنى مدرسة وجعل فيها بيوتا للسكن و اشترط فيها أن لا يسكنها إلا من يصلي الصلوات الخمس في مسجدھا وكانت المدارس مكان يلجأ إليه من لا سكن له فيذكر الونشريسي أن أحد الفقهاء لم يكن يملك منزلا فأقام في مدرسة موقوفة ، كما قام أحد الأثرياء ببناء مدرسة بمحاذاة مدرسة أخرى وسكنها الطلبة الذين وجدوا فيها الإعانة والرفق وأحبس أعرابي أرض يملكها على مدرسة فكانت غلات الأرض تصرف على المدرسة والقاطنين فيها (1)، وكانت تحبس الكتب أيضا وكل ما يلزم طالب العلم من حبر وورق ومن ذلك (2)وقد أحبس أحد المقاربة كتبا على مدرسة ببلده (3) ، وكان السلطان أبي الحسن المريني يحبس الكتب على المدارس التي بناها (4) فينتفع بها الحي والميت (5) و أوقف أبي حمو موسى الثاني خزانة كتب لصالح العلم والعلماء (6) و أنشأ مكتبة عمومية بتلمسان كانت مليئة بالكتب (7) ، وكثرت الخزانات العلمية الموقوفة (8) على المدارس التي قدمت خدمات كبيرة لمجتمع المغرب الأوسط. (9)

(1) - الونشريسي ، المصدر السابق، ج7، ص 242-245 ، 246 - 266 - 341.

(2) - سعيد منصور ، المرجع السابق، ص 112.

(3) - الونشريسي ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 340.

(4) - ابن مرزوق ، المسند، المصدر السابق، ص 407.

(5) - الونشريسي ، المصدر السابق ، ج7، ص 19.

(6) - نبيل شريخي ، المرجع السابق، ص 49.

(7) - عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق، ص 324.

(8) - إبراهيم حركات ، المرجع السابق، ص 165.

(9) - نبيل شريخي ، المرجع السابق، ص 30.

الفصل الثاني / الوقف والرعاية الاجتماعية ببلاد المغرب الأوسط

أوقاف المساكين والأسر :

أ- أحباس المساكين:

إعتنى الاسلام بمبدأ التعاون الجماعي العناية الكبيرة فجعل المسلمين كالجسد الواحد ، بحيث كل فرد مسلم يمثل عضو من أعضاء ذلك الجسد الذي يتعاون سائر أفراداه على توفير السعادة للأئمة جمعاء⁽¹⁾، يقول الله تعالى في كتابه الكريم (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)⁽²⁾ ، وقوة المجتمع وسلامته تكمل في قوة الترابط بين أفراداه وهذا الترابط يكون مبني على المحبة التي تستقر بها حياة المجتمع و تزدهر فالمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص ، والتكافل الاجتماعي يظهر الوقف كمظهر من المظاهر التي تجسد علاقة الأخوة⁽³⁾، ونجد في المغرب الأوسط قد حضيت فئة المساكين والفقراء على حصتها من الأحباس وانتشرت مثل هذه الأحباس في المنطقة من باب التكافل الاجتماعي إذ اهتم أهل المغرب بالرعاية الاجتماعية التي خصت كافة المحتاجين من فقراء ويتامى ومساكين ومثلت الأوقاف الدور الكبير والبارز في توفير هذه الرعاية في سبيل التخفيف من معاناتهم وتوفير العيش الهنيء والكرام، وهاته الأحباس وكما نوهت سابقا كان يشرف عليها الناظر و هو المسؤول الذي يوزع مقدار ما يستحقه كل فرد من الحبس والأعضاء يكون بالمكيال وعلى قدر الحاجة والمسكنة والعيلة والوقت والمنصب وكان الناظر يشرف أيضا على إيجار المنازل المحبسة على المساكين ويشترى بثمنها ثيابا توزع على المساكين أيام الأعياد الدينية.⁽⁴⁾

انتشرت الرحمة والتكافل بين أفراد مجتمع المغرب الأوسط فكان الناس يتهادون الدراهم والطعام في أعراسهم فيتبادلون الزيت والقمح والشعير واللحم والحيتان وغير ذلك من الأطعمة

(1) - زينب بوشريف، الوظيفة الدينية للوقف وعلاقتها بالتكافل الاجتماعي، رسالة تحت إشراف مراد زعيمي، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية ، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، جامعة باتنة، 2009 ، ص 20.

(2) - سورة الحجرات ، الآية 10.

(3) - زينب بوشريف، المرجع السابق، ص 21-109.

(4) - كمال السيد أبو المصطفى، المرجع السابق، ص 26.

الفصل الثاني / الوقف والرعاية الاجتماعية ببلاد المغرب الأوسط

وفي نازلة للونشريسي تحدث فيها عن رجل كان يقدم لآخر كل ما يحتاجه من المال والطعام وكان إذا أحدهم تدين من شخص دراهم و صعب عليه رد دينه قام الشخص الذي دينه بالسكوت على حقه شفقة وتعاطفا معه، ومن الناس من كان يستضيف المساكين في بيته ويتصدق عليهم بكل ما يوجد عنده من الطعام⁽¹⁾ ، وفي الأيام الدينية كانت توزع الألبسة على كافة المساكين، ومن الناس من كان يحبس الزرع لمن لا يقدر على شرائه فيخرج مئة قدح من الشعير ليستفاد منه المحتاج الذي يقوم بزراعة في أملاكه⁽²⁾، وكان الأثرياء لا يبخلون بالتصدق على المساكين والفقراء ففي نوازل الونشريسي نجد عددا كبيرا من أوجه تلك الصدقات والأحباس فقد قام رجل يملك حوانيت ودور بتخصيص ثلاثة من دوره على أجنبي وتصدق بنصف حانوته الذي قدر بألفي دينار على المساكين⁽³⁾ ، كما أحبس رجل ماله مؤيدا على المساكين شريطة أن إذا افتقرت ابنته من ذلك المال كان لها⁽⁴⁾، فمن أهل الإحسان من كان يتطوع في إنفاق المساكين إلى أن تغنى حياته، إذ قامت امرأة من بلاد المغرب بالتصدق بكامل مالها على المساكين كذلك قامت صبية بترك ما تملكه من عقار لخالتها المحتاجة ، و تصدق سيد على عبد له بنصف ماله⁽⁵⁾، ويذكر الونشريسي أن رجلا قام ببيع خراب له بثمن معلوم ووزع ثمنه على المساكين⁽⁶⁾، وأحبس أحد المتصدقين داره على المساكين⁽⁷⁾، كما أوصى أحد سكان تلمسان أولاده الورثة أن يتصدقوا بثلاث أملاكه على المساكين⁽⁸⁾ ، كما أوقف أحد المحسنين وقفا على أن يشتري بغلة ثيابا توزع على

(1) - الونشريسي ، المرجع السابق ، ج 9 ، ص 181، 182-184.

(2) - نفسه ، ج 7 ، ص 120-139.

(3) - نفسه ، ج 9 ، ص 185-186.

(4) - نفسه ، ج 7 ، ص 423.

(5) - نفسه ، ج 9 ، ص 135-197-375،374.

(6) - نفسه ، ج 10 ، ص 245.

(7) - نفسه ، ج 7 ، ص 420.

(8) - نفسه ، ج 9 ، ص 370.

الفصل الثاني / الوقف والرعاية الاجتماعية ببلاد المغرب الأوسط

الأيتام في يوم معلوم⁽¹⁾ و أوصى أحدهم أن يدفع لصبية بعد موته بكر غلة حانوته وينفق عليها إلى أن تبلغ وتتزوج وأوصى بثلثة الآخر للمساكين.⁽²⁾

وقامت جماعة من العدول بالتكفل بصبي مهمل والتزموا برعايته⁽³⁾ ، وتصدق رجل على ابنه الكبير بأملكه وأوصاه بأن تكون أملكه هاته صدقة على المرضى بعد وفاته⁽⁴⁾ ، كما أهدى أحدهم بقرة ليتم في حياته وعندما مرض تصدق لليтим بخمسين دينار من الفضة⁽⁵⁾ ، وتصدقت امرأة بأملكها على أسير بلدتها، وأوصى رجل أن يشتروا من ماله فرسين يحمل عليهما الناس في سبيل الله وقدر مالا ثمنه مئة دينار ووزعه على المساكين⁽⁶⁾ ، وتحدث الونشريسي في نوازله على أرض بالمغرب تسمى أرض المساكين سميت هكذا لأن ساكنيها أكثرهم مساكين ، حيث قام رجل بتعميرها واختصها لهذه الفئة من الناس وغلاتها توجه لهم وعندما حلت بها الجائحة تم بيع تلك الأرض واستفاد منها المساكين⁽⁷⁾ ، وفي زمن الوباء تصدق أحد التجار بأملكه على الفقراء والمساكين من أهل بلدته ببجاية⁽⁸⁾ ، وفي هذه الأيام أوصى الكثير من السكان بأن تصدق أملكهم على الأسرى خوفا من ضياعها بعد أن يقتلهم الوباء.⁽⁹⁾

(1) - نفسه ، ج7 ، ص 270.

(2) - نفسه ، ج9 ، ص 364.

(3) - نفسه ، ج5 ، ص 172.

(4) - نفسه ، ج9 ، ص 165.

(5) - نفسه ، ج10 ، ص 355.

(6) - نفسه ، ج9 ، ص 151-380.

(7) - نفسه ، ج7 ، ص 63-332.

(8) - نفسه ، ج6 ، ص 6.

(9) - نفسه ، ج10 ، ص 297.

الفصل الثاني / الوقف والرعاية الاجتماعية ببلاد المغرب الأوسط

ب- أحباس الأسر :

يقول النبي صل الله عليه وسلم : (إذا أنفق المسلم على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة)⁽¹⁾ ، فالنبي شجع على إنفاق الأهل من باب توطيد العلاقات بين أفراد الأسر وتحقيق وتحقيق التكافل بينهم فأفضل صدقة عند النبي هي الصدقة الموجهة لذوي الرحم⁽²⁾ ويقول صلى الله عليه وسلم : (أفضل صدق ما ترك غني واليد العليا خير من اليد السفلى وإبدأ بمن تعول ، تقول المرأة: إما أن تطعمني و إما أن تطلقني ، ويقول العبد أطعمني و استعملني، ويقول الإبن : أطعمني إلى من تدعني؟...)⁽³⁾

ولعل أولى ضمانات التكافل الاجتماعي هي مسؤولية المسلم بالنفقة على نفسه وزوجه و أولاده و ذوي قرياه⁽⁴⁾: يقول تعالى في كتابه العظيم: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)⁽⁵⁾، فالله تعالى تعالى أكد حقوق ذي القربى وأوجب صلتهم وجعل صلة الرحم من صلة تعالى⁽⁶⁾ ، تعتبر الأسرة اللبنة الأولى لبناء المجتمع المتكافل في الاسلام الذي جعل كفالة أفرادها مسؤولية من الواجب رعايتها⁽⁷⁾، وأمثلة التكافل الأسري عديدة ونجدها في كتب النوازل، إذ ذكر الونشريسي أن رجلا من بلاد المغرب أحبس أملاكه على أولاده الثلاثة محمد وعلي و أبو سعيد وأحبس على ذريتهم من بعدهم بالتساوي كما أحبس أحد الآباء أملاكه على أولاده الذكور والإناث⁽⁸⁾، فدور العائلة يتضح من خلال هذه الأمثلة الشاهدة على أن سكان بلاد

(1) - رواه البخاري، كتاب النفقات ، باب فضل النفقة على الأهل، رقم 5351، ص 1363.

(2) - زينب بوشريف، المرجع السابق، ص 111.

(3) - رواه البخاري ، كتاب النفقات ، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال ، رقم 5355 ، ص 1364.

(4) - السيد المرسي حجازي، المرجع السابق ، ص 9.

(5) - سورة النحل ، الآية 90.

(6) - القرطبي، المصدر السابق ، ج12، ص 409.

(7) - زينب بوشريف، المرجع السابق، ص 111.

(8) - الونشريسي ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 354-355-360.

الفصل الثاني / الوقف والرعاية الاجتماعية ببلاد المغرب الأوسط

المغرب فعلوا مبدأ التكافل والتراحم فيما بينهم بمساعدة الأقربون على مواجهة أعباء الحياة فهم الأولى بالمعروف⁽¹⁾، وذكر الونشريسي كذلك أن رجلا قام بتحبيس بعض الأملاك على ابنه الصغير وترك عائدات الحبس بيده إلى أن يكبر الولد ، كما أحبست امرأة على ابنتها الصغيرة دارها التي تسكن فيها، وقام أحد الرجال بتحبيس أملاكه لأولاده وأولاد أولاده ومن خلفه من بعدهم وتحدث الونشريسي على أحد رجال المغرب الذي قام بحبس أرض له لصالح ضعاف أهله ومضى الحبس عليهم ثمانون سنة وأزيد وقام رجل بحبس رحي له على كل أبناءه بالسوية⁽²⁾، لقد حرصت على تقديم الأوقاف على أساس أنها قرائن تاريخية مثلت مثلت رمزية للتكافل الاجتماعي فالوقف حقق خدمات كبيرة للمجتمع وتنوع نظامه في المغرب الأوسط بين أوقاف عامة وأوقاف خاصة خصصتها السلطة على بعض المرافق والمنشآت و وجهت عائدات الأوقاف للعناية بالفقراء والعجزة واليتامى والعلماء وطلبة العلم وأبناء السبيل فهي أنبل سبل التكافل الاجتماعي بقول المولى عز وجل في ذلك : (فأما الزُّبر فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال).⁽³⁾

(1) - راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 235.

(2) - الونشريسي ، المصدر السابق، ج7، ص 426-431-435-441-461.

(3) - سور الرعد ، الآية 17.

الخاتمة

خاتمة

خاتمة:

قد بلغ التشريع الاسلامي ذروة الكمال هذا ما يتضح في قوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) ، ديننا كامل لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وبين حكمها والقصد منها وبين دور الانسان فيها فتميز بذلك التشريع الاسلامي بصفات ذات غاية جلية لا تعد ولا تحصى وصفة الرحمة من ضمن تلك الصفات والتي لم يخصصها ديننا على المسلمين فقط بل شملت عموم البشر ، وظهرت وتجسدت هذه الصفة العظيمة في أقوال وأعمال سيد الخلق محمد صل الله عليه وسلم لم تكن تكلفا ولا تجملا منه بل كانت مطبوعة في إنسانية فهو من قال من لا يرحم لا يرحم ، ومن منطلق الرحمة أوجب الاسلام تعميق وتقوية الروابط بين بني البشر فلا يجوز لأي أحد أن يعيش منفصلا عن الآخر وعن مجتمعه ولا بد على كل فرد أن يتحد ويتعاون ويتآزر مع الآخر وهذا التكاتف هو ما دعا إليه ديننا الأصيل ، وكل نصوص القرآن والسنة والآثار تؤكد حرص الاسلام على تحقيق مبدأ التعاون والتكافل بين المسلمين وكل الأحكام تتجه إلى ترغيب النفس البشرية إلى فعل الخير وإعطاء الطبقات الضعيفة من الناس الاهتمام الخاص فشرعت لهم الكفاية التامة والتي شملت المأكل والملبس وكل الحاجات الضرورية ، والزكاة تعاون إجتماعي تجعل للفقير حق معلوم من مال الغني وهي تكليف إجتماعي وكفارات الذنوب تكافل إجتماعي فمن حلف بيمينه كان عليه عتق رقبة أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم.

والرسول الكريم صل الله عليه وسلم كان القدوة الحسنة لهذا الخلق العظيم والأصحاب والاتباع إتخذوا من نهج النبي هذا طريقا ينفقون به في سبيل الله تعالى و لإعانة بني البشر فكل العبادات تهذب ضمير المؤمن ليكون متكافلا وتتجه إلى بناء مجتمع يرحم فيه القوي الضعيف ويعطف الغني فيه على الفقير وجعل المجتمع يتعاون على فعل المعروف.

وتعتبر السلطة و الطبقة الحاكمة من القنوات التي يؤمن من خلالها نظام التكافل الاجتماعي ولها المسؤولية الكبيرة في تأكيد هذا النظام بين أفراد المجتمع الذين تحت إمرتها،

خاتمة

ومما جرت العادة ذكره أثناء متون البحث أن حكام بلاد المغرب الأوسط لم يقصروا في مؤازرة الرعية فتكفلوا بكل ما يضمن لهم الحياة الحسنة فقد ذكرنا أن السلطان يغمراسن بن زيان (ت 681 هـ / 1282 م) كان يحب مجالسة العلماء والتودد إليهم والانفاق على أهل العلم فكان يؤثرهم بكرمه وحلمه كذلك عامل السلطان أبو الحسن المريني (ت 749 هـ / 1348 م) الناس بالرأفة والشفقة فتكفل بالرعية خفف الضرائب والغرائب التي أثقلت كاهلهم وكان ابنه أبو العنان المريني (759 هـ / 1358 م) متكافلا متعاوننا مع رعيته فكان يتفقد أحوالهم ويقدم لهم الإعانات في كل ما يحتاجونه ، ولما كانت المشاكل والأزمات والكوارث الطبيعية لا تنتهي من الدنيا لابد التعامل معها بآليات ثابتة وطرق معروفة كالتكافل ونجد العديد من سلاطين المغرب الأوسط بذلوا الجهود الكبيرة من أجل التغلب على الأضرار التي تخلفها هاته الظواهر الطبيعية وتخفيف انعكاساتها على الرعية فخزنوا الغذاء ومتطلبات الحياة ووزعوا المطامير وما احتوتها و أطعموا الناس وبنوا المارستانات لمعالجة الناس وغيرها من الاعانات ذات فائدة.

كما كان للأسر الارستقراطية دور فاعل في نظام التكافل الاجتماعي وإسهامات بالية دعموا من خلالها ترسيخ هذا المبدأ داخل مجتمع بلاد المغرب الأوسط.

لقد كان لفقهاء ومتصوفة بلاد المغرب الأوسط الدور الفاعل في تنشيط خلق التكافل الاجتماعي داخل بيئتهم ومجتمعهم فهم أكثر فئة تشعر بمن حولها والتي تجمعهم علاقة وطيدة بالناس فلم يبخلوا بمد يد العون بأي صورة كانت لإعانة المحتاجين ، فوجد الحباك (ت 613 هـ / 1216 م) وهو من صوفية المغرب الأوسط رغم فقره وعوزه إلا أنه لم يبخل الفقراء وأعطاهم من قوته القليل فكانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وكانوا يتعاطفون مع الناس ويحققون أعبائهم فعندما قام الشيخ إبراهيم التازي (ت 866 هـ / 1462 م) بإدخال الماء لأهل وهران من مكانه البعيد لم يكن هذا الفعل إلا تكافلا وتعاطفا مع أهل المنطقة وحبا منه لفعل الخير ، كما كان الشيخ أحمد الغماري (ت 874 هـ /


خاتمة

1470م) مسارعا للإصلاح بين المتخاصمين ولم شمل الناس بل واستغلوا مناصبهم للتودد إلى السلاطين وإيصال شكاوي الناس وقضاء حوائجهم وطلبهم كان يلقي القبول من طرف الحكام ، كما أن رجال التصوف مثلوا الفئات الداعمة والتي لا ينقطع برها وإحسانها زمن المجاعات والأوبئة ، وكان الناس يستجدونهم ويقصدونهم وقت الحاجة فكما ذكرت سالفا أن بجاية عندما أصابها مجاعة شديدة وحين عجز حكامها على تفادي الأزمة والأضرار التي أحدثتها قام الشيخ أبو زكريا الزواوي بالإعانة والتكافل فجمع المال من أهل الخير و إكترى به فندقا جمع فيه كل مسكين يصادفه في طريقه فكفل بذلك كل متطلبات المحتاجين من ملابس ومأكل ومسكن وأغناهم عن السؤال إلى أن إنتهت الأزمة وهذه الصورة تعتبر من أنبل صور التكافل التي عرفتھا بلاد المغرب الأوسط في الفترة المذكورة.

كما أن ديننا الاسلامي أباح لأهل الذمة ممارسة شعائرهم الدينية في أرض المسلمين وحفظ لهم كرامتهم وصان حقوقهم وحقق لهم المساواة مع المسلمين وشرع لهم التعامل مع المسلمين من خلال المبادلات التجارية خاصة في إطار العدل والتكافل والتعاون والبر ولم يكلفهم الاسلام من الجزية مالا يطبقون فديننا يسعى لإيجاد مجتمع متكاتف لا يطغى فيه فريق على الآخر.

لعبت أوقاف بلاد المغرب الأوسط الدور الكبير في مجال التكافل الاجتماعي فأهل المغرب تلقوا بنظام الوقف واعتبروه من بين أعمال البر والخير التي ينال صاحبها الأجر والثواب وتعددت سبل الانفاق على الأحباس من مساجد وزوايا ومدارس وغيرها كلها تعود بالمصلحة والنفع لأفراد مجتمع المغرب الأوسط ونجد ملوك المنطقة قد اختصوا به فأحبسوا على الزوايا والمدارس .

كما أحبس الناس دورهم وأراضيهم وجناتهم وممتلكاتهم ولعبت هذه الأحباس دورا بارزا على المستوى الاجتماعي فكفلت المحتاجين والمساكين وإعانة أفراد الأسر والأيتام وضمنت معيشة الطلبة وعابري السبيل.

A decorative black border with intricate floral and scrollwork patterns at each corner, framing the central text.

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- قائمة المصادر:

أ- القرآن الكريم:

ب- كتب الحديث:

1- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 256 هـ / 870 م) ، صحيح البخاري،

ط1 ، دار ابن كثير ، بيروت - دمشق ، 2002 م .

2- مسلم أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261 هـ / 875 م) ، صحيح

مسلم، ج1 ، دار الطباعة العامرة ، الأستانة ، 1329 م .

ت- الكتب :

3- ابن الأثير أبو الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني (ت 630 هـ / 1233 م) ،

أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ط1 ، دار ابن حزم ، لبنان - بيروت ، 2012 م .

4- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد (ت 597 هـ - 1201 م) ،

مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، تحقيق حلمي بن محمد بن إسماعيل ،

دار ابن خلدون، الاسكندرية، 1996 م .

5- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان بن محمد (ت 808 هـ / 1405 م) ، العبر

واديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عناصرهم من ذوي

السلطان الأكبر ، مراجعة سهيل زكار، ط1 ، دار الفكر ، لبنان - بيروت ، 2000

م .

6- المقدمة ، تحقيق عبد السلام شديدي ، ط1 ، ج1 ، خزنة ابن خلدون ، الدار

البيضاء ، 2005 م .

قائمة المصادر والمراجع

- 7- ابن خلدون أبو زكريا يحيى بن محمد (ت 780 هـ / 1379 م) ، بقية الرواد في أخبار بني عبد الواد ، تحقيق بوزياني الدراجي ، ج2 ، دار الأمل ، الجزائر ، 2007 م.
- 8-بغية الرواد ، ج1 ، بيير بونطانا الشرفية ، الجزائر ، 1903 م.
- 9- ابن أبي الزرع علي بن عبد الله الفاسي (ت 741 هـ / 1341م) ، الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور ، الرباط ، 1972 م.
- 10- ابن الزيات أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي (ت 617 هـ / 1220م) ، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق ، ط2، كلية الآداب ، الرباط ، 1997.
- 11- ابن عبد البر أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت 463 هـ/ 1071 م) ، الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، تحقيق محمد محمد، ط2، مكتبة الرياض الحديثة، 1978م.
- 12- ابن عذاري أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (توفي حوالي 695 هـ / 1296م) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، ط1 ، ج5 ، دار الغرب الاسلامي ، لبنان - بيروت ، 1985.
- 13- ابن سعد محمد الأنصاري التلمساني (ت 901 هـ / 1496 م) ، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعين المتأخرين ، مراجعة وتحقيق يحيى بوعزيز ، ط1 ، عالم المعرفة، الجزائر ، 2009 م.
- 14- ابن قنفذ أبو العباس أحمد القسنطيني (ت 810 هـ / 1407 م) ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تقديم محمد الشاذلي وعبد المجيد التركي ، الدار التونسية، 1968 م.

قائمة المصادر والمراجع

- 15- ابن القيم الجوزية (ت 751 هـ / 1350 م) ، التفسير القيم، جمعه محمد الندوي، حققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت ، 1948 م.
- 16- ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت 774هـ / 1373 م) ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، ط2 ، ج3 ، دار طيبة ، السعودي - الرياض ، 1999.
- 17- ابن مرزوق أبو عبد الله محمد الخطيب (ت 781هـ/1376م) ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تقديم محمود بو عياد، تحقيق ماريّا خيسوس بيقيرا، الشركة الوطني ، اجزائر، 1981 م.
- 18- المناقب المرزوقية ، تحقيق سلوى الزهراوي ، ط1 ، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة المغربية ، 2008 .
- 19- ابن مريم أبو عبد الله محمد المديوني (كان حيا 1014هـ / 1605 م) ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، مراجعة محمد بن أبي نسيب، المدرس الثعالبية ، الجزائر، 1908.
- 20- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين (ت 711 هـ / 1311 م) ، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، ط1، ج43، 44 ، دار المعارف ، القاهرة .
- 21- أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر (ت 810 هـ / 1407م) ، روضة النسرين في دولة بني مرين، مطبعة المكتبة ، الرباط ، 1962.
- 22
- 23- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي (من اهل القرن 6هـ) ، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ، ج1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002.

قائمة المصادر والمراجع

- 24- البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي (ت 841 هـ / 1438 م) ، فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق محمد محمد ، ط1، ج1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2002.
- 25- التتبكتي أحمد بابا بن أحمد (ت 963 هـ / 1036م) ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، ط1 ، ج2 ، كلية الدعوة الاسلامية ، طرابلس ، 1989م .
- 26- التتسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل الحافظ (ت 899هـ / 1494 م) ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمد أنى بو عباد ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2011 م.
- 27- الجرجاني علي بن محمد (ت 816 هـ / 1413م) ، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي ، ط4، دار الفضيلة ، القاهرة، 1357 م.
- 28- الداوودي شمس الدين محمد بن أحمد الحافظ (ت 945 هـ / 1538 م) ، طبقات المفسرين ، ط1، ج2، دار الكتب العلمية ، لبنان - بيروت ، 1913 م.
- 29- الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ / 1347م) ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، ط9، ج 18، مؤسسة الرسالة، 1413 هـ.
- 30- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 671 هـ / 1273 م) ، الجامع لأحكام القرآن و المبين لما تضمنه حسن وآي الفرقان ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي ، ط1، ج6، مؤسسة الرسالة ، لبنان- بيروت ، 2006.

قائمة المصادر والمراجع

- 31- الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن بشير (ت 1205 هـ / 1790م) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، مراجعة عبد الكريم الغرناوي وعبد الستار أحمد فراج، تحقيق عبد الحلیم الطحاوي، ج1، التراث العربي ، 1974م.
- 32- الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت 882 هـ / 1477 م) ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.
- 33- الزركلي خير الدين (ت 798 هـ / 1396م) ، الاعلام لأشهر، الرجال والنساء من العرب والمغربيين والمشرقيين ، ط15 ، دار العلم للملايين، لبنان - بيروت ، 2002م.
- 34- الطبري أبي جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ / 941 م)، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، مصر - القاهرة، 1119 م.
- 35- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت 714 هـ / 1314 م) ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق عادل نويهض ، ط2، دار الآفاق الجديدة ، 1979.
- 36- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817 هـ / 1414 م) ، القاموس المحيط، تعليق أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي ، تحقيق أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، ط1 ، دار الحديث ، القاهرة، 2008.
- 37- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد (ت 450 هـ / 1058م) ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، ط1، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989م، أدب الدنيا والدين، ترجمة أحمد إبراهيم، تعليق وشرح محمد كريم رابح، دار إقرأ، بيروت، 1985م.

قائمة المصادر والمراجع

- 38- النميري إبراهيم بن عبد الله بن الحاج (ت 768 هـ / 1367 م) ، فيض العباب ، دراسة ابن شقدون ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، لبنان - بيروت ، 1990 .
- 39- الوزان الحسن بن محمد الفاسي (ت 901 هـ / 1554 م) ، وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، ط2 ، ج2 ، دار الغرب الاسلامي ، لبنان - بيروت ، 1983 .
- 40- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 914 هـ / 1508 م) ، إشراف محمد حجي ، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، المغرب - الرباط ، 1981 م .
- 41- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت 626 هـ / 1229 م) ، معجم البلدان ، ج1 ، دار صادر ، بيروت ، 1977 م .

ثانيا- قائمة المراجع :

أ- الكتب :

- 42- أبو زهرة محمد ، تنظيم الاسلام للمجتمع ، ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1991 م ، التكافل الاجتماعي في الاسلام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1991 .
- 43- السرجاني راغب ، رحماء بيتهم قصة التكافل والإغاثة في الحضارة الاسلامية ، إشراف داليا محمد إبراهيم ، ط1 ، نهضة مصر ، الجيزة ، 2010 .
- 44- السيد سابق ، فقه السنة ، ج3 ، الفقه للإعلام العربي ، القاهرة .
- 45- السيد كمال أبو مصطفى ، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي ، مركز الاسكندرية ، الاسكندرية ، 1996 .
- 46- الرحمان خالد سيف الله (مجمع الفقه الاسلامي - الهند) ، دور الوقف في التنمية ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، لبنان - بيروت ، 2007 .

قائمة المصادر والمراجع

- 47- بوعمامة فاطمة، اليهود في المغرب الاسلامي خلال القرن السابع والتاسع، مؤسسة كنوز الحكمة ، الجزائر ، 2011 .
- 48- بونابي الطاهر ، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7هـ/ 12 و 13 م الميلاديين (نشأته ، تياراته ، دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي) ، دار الهدى ، عين مليلة ، 2004م.
- 49- حركات إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ (عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية و الدينية والاجتماعية والعمرائية والفكرية من قبل الاسلام إلى العصر الحاضر من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين) ، ط1، ج2، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء، 1978م.
- 50- جودت السعيد ، أوهام التاريخ اليهودي ، ط1 ، الأهلية ، الأردن - عمان ، 1998.
- 51- سعد الله فوزي ، جهود الجزائر هؤلاء المجهولين ، ط2، شركة دار الأمة ، الجزائر، 2004.
- 52- شاكر محمود ، الخلفاء الراشدون ، ط8 ، ج3، المكتب الاسلامي ، بيروت ، دمشق - عمان - بيروت ، 2000.
- 53- عبد الرحمان بشير، اليهود في المغرب العربي (22-462 هـ / 642 - 1070م)، إشراف قاسم عبده قاسم، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 2001.
- 54- عشور عبد الجليل عبد الرحمان، الوقف ، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة ، 2000.
- 55- فيلاي عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرائية ، إجتماعية ، ثقافية)، ج1، موفم للنشر ، الجزائر، 2002.

.-56

ب- المقالات والمنشورات :

57- الجديد عبد العزيز منصور، (المسجد في الاسلام وتاريخه)، أبحاث ندوة عمارة المساجد ، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود ، 1999.

58- بوداود عبيد ، (قراءة في أوقاف مدارس وزوايا تلمسان الزيانية) ، مجلة الموافق للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 8 ، معسكر ، 2008.

59- بعربي خالد، أهمية كتاب المعيار المعرب للونشريسي في كتابه التاريخ الاقتصادي الاجتماعي للمغرب الأوسط، مجلة القرطاس ، العدد الخامس ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة سيدي بلباس ، جوان 2017.

60- حجازي السيد مرسي ، " دور الوقف في تحقيق التكافل الاجتماعي في البيئة الاسلامية" ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، العدد2 ، مصر - الاسكندرية ، 2006 .

61- خليلي بختة، " دور بعض السلاطين والفقهاء والوجهاء الزيانيين في مواجهة ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط"، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية ، قسم العلوم الاجتماعية ، العدد 15 ، 2016.

62- شارف محمد، " المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن لابن مرزوق" ، مجلة المغازي ، العدد 1، جامعة معسكر .

63- عاقل فصيحة ، " التكافل الاجتماعي في السلام وأبرز صورته" ، أعمال المؤتمر الدولي العاشر حول التضامن الانساني، جامعة باتنة، الجزائر، 18-20 ديسمبر 2015.

قائمة المصادر والمراجع

64- عبد الشافي غيم عبد القادر، " بعض مقومات الحضارة الانسانية ونظم الحكم الاسلامي في عهد الرسول"، مجلة المؤرخ العربي، تصدرها الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب، العدد 16، العراق، 1981.

65- مبارك بشير، " دور الأوقاف في التكافل الاجتماعي خلال العصر الوسيط، الأوقاف الزيانية نموذجاً" ، مجلة تاريخ المغرب العربي، العدد6، الجزائر، 2015.
-مفتاح خلفات ،"علاقة صوفية زاوية بمجتمع بجاية خلال العصر الوسيط" ،صدر ضمن كتاب بحوث ودراسات في التراث والمجتمع الجزائري ، تقديم ومراجعة بن عبد الله نور الدين ، ط1، نواصري للطباعة والنشر، الجزائر، 2019

ت- الرسائل الجامعية :

66-الغربي داود، قضايا الأحياس في المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل دراسة تطبيقية خلال القرنين (9-10 هـ / 15-16 م) ، رسالة ماستر، تحت إشراف إسماعيل بركات ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2015، 2016.

67-المزكلاوي سمية ، المجاعات والأوبئة بالمغرب الوسيط (534 - 776هـ / 1139 - 1375م) ، أطروحة دكتوراه ، تحت إشراف هشام العلوي القاسمي ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس ، 2003 - 2004.

68-بالبشير عمر، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغريين الأوسط والأقصى من القرن 6 إلى القرن 9 هـ / 12-15م من خلال كتاب المعيار للونشريسي، أطروحة دكتوراه ، تحت إشراف غازي مهدي، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، وهران ، 2009 - 2010.

قائمة المصادر والمراجع

- 69- بلحاج محمد، مخطوط النجم الثاقب فيما لأولياء الله من معارف المناقب " الجزء الأول" دراسة و تحقيق ، مذكرة ماجستير ، تحت إشراف بن معمر محمد، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية ، جامعة وهران، 2007 - 2008.
- 70- بوشريف زينب ، الوظيفة الدينية للوقف وعلاقتها بالتكافل الاجتماعي ، رسالة ماجستير تحت إشراف مراد زعيمي، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الاسلامية ، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، جامعة باتنة ، 2009.
- 71- شريخي نبيل ، دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الاسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع (15/15م) ، رسالة ماجستير ، تحت إشراف خالد كبير علال، قسم التاريخ والجغرافيا ، الجزائر ، 2009-2010.
- 72- شقدان بسام كامل عبد الرزاق، تلمسان في العهد الزياني 633-962 هـ / 1235 - 1555 م، رسالة ماجستير ، تحت إشراف هشام أبو رميلة ، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ ، نابلس ، 2002.
- 73- عمارة فاطمة الزهراء ، المدرسة التعليمية بتلمسان خلال القرنين 8 و 9 هـ / 14 و 15 م ، رسالة ماجستير ، تحت إشراف محمد بن معمر ، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، قسم الحضارة الاسلامية ، جامعة وهران، 2009 - 2010.
- 74- قومي محمد ، دور الطائفة اليهودية بتوات خلال القرنين 9-10 هـ / 15-16 م، رسالة ماجستير ، تحت إشراف غازي الشمري ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران، 2014.
- 75- مرعي سعيد منصور القحطاني ، إسهام الوقف في دعم الحركة العلمية في القرن السابع الهجري، رسالة ماجستير ، تحت إشراف السعيد محمود السعيد عثمان، كلية التربية ، قسم التربية الاسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى ، 1430-1431 هـ

قائمة المصادر والمراجع

- 76-مزدور سمية ، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (528 - 927 هـ /
1192 -1520 م) ،رسالة ماجستير ، تحت إشراف محمد الأمين بلغيث، كلية
الآداب والعلوم الانسانية، قسم التاريخ و الآثار، قسنطينة ، 2008 - 2009.

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	السورة	الآية
		- يؤتكم كفلين من رحمته ...
		- من يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها ...
44	سورة آل عمران	- وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم ...
37	سورة آل عمران	- وكفلها زكريا
14	سورة القصص	- ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ...
24/23/22	سورة القصص	- ولما ورد ماء مدين وجد عليها أمة من الناس ...
3	سورة المائدة	- وتعاونوا على البر والتقوى ...
176	سورة البقرة	- ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق ...
27	سورة الجاثية	- قل ربي ييسط الرزق لمن يشاء ...
7	سورة الطلاق	- ومن قدر على رزقه فلينفق مما آتاه الله ...
10	سورة المنافقون	- وأنفقوا مما رزقكم الله من قبل ...
3	سورة الأنفال	- الذين يقيمون الصلاة ...
10	سورة الجمعة	- فإذا قضيت الصلاة فانتشروا ...
9	سورة المائدة	- يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة ...
107	سورة الأنبياء	- وما أرسلناك إلا رحمة ...
261	سورة البقرة	- الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ...
167	سورة الأنعام	- وهو الذي جعلكم خلائق في الأرض ...
270	سورة البقرة	- إن تبدو الصدقات فنعمما هي ...
176	سورة البقرة	- وءاتى المال على حبه ...
92	سورة آل عمران	- لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ...
77	سورة الحج	- يا أيها الذين آمنوا إركعوا واستجدوا ...
16	سورة التغابن	- فاتقوا الله ما استطعتم ...
18	سورة التوبة	- إنما يعمر مساجد الله من ءامن بالله ...
10	سورة الحجرات	- إنما المؤمنون إخوة ...
90	سورة النحل	- إن الله يأمر بالعدل والإحسان ...
17	سورة الرعد	- فأما الزبر فيذهب جفاء ...

فهرس الأحاديث

الحديث

- أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة
- من دعا إلى هدى كان له الأجر ...
- اللهم أعط ممسكا تلقا ...
- مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم ...
- إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو ...
- المسلم أخو المسلم ...
- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ...
- إنما مثلي ومثل الناس ...
- خير الناس أنفعهم للناس ...
- والذي بعث محمدا بالحق ...
- أصاب عمر رضي الله عنه أرضا ...
- ما من مسلم غرس غرسا ...
- إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ...
- من بنى مسجدا بنى الله له مثله ...
- إذا أنفق المسلم على أهله وهو يحتسبها ...
- أفضل صدقة ما ترك غني واليد العليا ...

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
	تشكرات
	إهداءات
أ..... و	مقدمة
الفصل التمهيدي: التكافل الاجتماعي... الدلالة اللغوية والدليل الشرعي	
8	1- مفهوم التكافل الاجتماعي
8	أ- لغة
9	ب- اصطلاحا
10	2- التكافل الاجتماعي من خلال الخطاب القرآني والسنة النبوية المشرفة
10	أ- القرآن الكريم
15	ب- السنة النبوية

الفصل الأول : صور التكافل الاجتماعي بالمغرب الأوسط ما بين القرن
(7 هـ ، و 9هـ) ما يقابله بالميلاد (13 م و 15 م)

21	1- الأسر الحاكمة والأسر الأرستوقراطية
21	أ- الاسرة الحاكمة
29	ب-الاسر الارستوقراطية
29	- التجار اليهود أنموذجا
37	2-إسهامات النخب العلمية في نظام التكافل الاجتماعي
37	أ- الفقهاء
44	ب- المتصوفة
44	3 جهود المتصوفة في عملية التكافل الاجتماعي زمن المجاعات والمحن

الفصل الثاني : الوقف والرعاية الاجتماعية ببلاد المغرب الأوسط

51	تمهيد: دور الوقف في تحقيق التكافل الاجتماعي
54	1- أوقاف المساجد والزوايا
54	أ- أوقاف المساجد

58	ب- أوقاف الزوايا
61	2- أوقاف المدارس
65	3- أوقاف المساكين والأسر
65	أ- أوقاف المساكين
68	ب- أوقاف الأسر
71	خاتمة
	قائمة المصادر و المراجع
	فهرس الموضوعات
	فهرس الآيات القرآنية
	فهرس الأحاديث النبوية
	فهرس الموضوعات